التَّفْكِيرُ النَّحْويِّ في "أنْوَارِ التَّنْزِيلِ وأَسْرَارِ التَّـــأْوِيلِ" عِنْدَ البَيْضَاوِيِّ

الدكتور/ أحمد وديع أحمد طنطاوي

كلية الآداب جامعة قناة السويس بالإسماعيلية

أهْدَافُ البَحْثِ وأهميَّتُه:

يهدف البحث إلى بيان الأطر الكُبرى والبِنْيَات الصُّغْرَى التى نهض بها التفكير النحوي عند البيضاوي، واستيضاح خصائص الصَنْعَة النحوية وكشف اطروحاتها وتفاعلاتها فى معالجة قضايا الإعراب المنتخبة والمستدعاة منه فى الدرس، وفى قضايا التِأويل الأصولية التى استأنس بها، وركز عليها فى تفسير المعاني والنظم, حيث استطاع أن يبرزها وأن يعالجها في الإطار التفسيري بمنهجية تحمد له على مقتضى القواعد التعليمية إلي حد كبير، وإن شابها قدرا من الالتفاف والتكلف والتفلسف؛ وذلك فى الوجوه التي ذكرها دون تقدير أو نقلها دون شرح أو تحليل وسوف نرى بعضا منها فى ثنايا البحث.

كما يهدف إلى التعرف على العديد من الوجوه النحوية التي أثارها فى المسألة الواحدة، مما يجدد النشاط الفكري، ويثري المادة العلمية ويذكِّر بالمصطلحات والقواعد الأساسية، فننظر كيف تناولها وعرضها فى قالب شيق، وكيف اهتم بعرض القراءات بحديها المطَّرِدِ والشَّاذِّ، وإن لَم يهتم بتخريجها ولم يقف عليها بالقدر الكافي حيث عامل المطَّرِدَ معاملةَ الشَّاذِّ على حدٍّ سواء دون تخريج أو نقد ؛ قل إنَّ ما فعله البيضاوي يكمن فى عملية تناول وعرض وتحليل منظم للمادة العلمية؛ وفكر مرتب بطريقة رائعة ومتفاعل مع بعضها دون الآخر؛ بهدف بناء جسر التفسير وصناعة التأليف؛ كما ينتابه من حين لآخر قياس مختصر للمسألة سواء كان شعريا أو قرآنيا, و جاء قياسه مختصرا حتى لا يخرج عن نطاق التفسير وهذا غير كاف. وأسأل هل وظَّفَ البيضاوي المادة النحوية التي استقاها في توجيه المعاني وفى خدمتها وهل أحدث تنوعا واختلافا فى المخرجات المعرفية التي حَوَاها كتابه إذ الأسمى للنحو كشف المعاني والاعتمال في إبراز محاسن الوجوه والتراكيب اللغوية, فهل فعل البيضاوي ذلك؟.

فالَّذي حدث أنَّ البيضاوي عرض الفكر النحوي إجمالا بأسلوب حسن, يرغب فيه وإن كان فيه شيء من النمطية وينقصه التمييز بين الأداءات النحوية وبين أراء النحويين السابقين من حيث قوتها أو ضعفها, أو حيث مخرجاتها التعليمية، فقد عرض مادة كثيرة من الآراء والمذاهب النحوية ورصَّها جنب إلى جنب دون أن يبين ما لهذه المذاهب وما عليها. لو أنه تدخل فيها بالنقد تارة وبالاستحسان أخرى, لو أنه حباها بتفكير فى مالاتها الأسلوبية والسياقية بعد التأويل وقبله أو تجلت الشخصية والذاتية فى مذهبه النحوي كالتي

عند أقرانه السابقين إلا أنه قد استجلب لنا فائدة كانت مرجوة باسترجاع القواعد ومعرفة التناول الجيد والتقديم المتميز للتفكير النحوي والارتقاء بكتب التفسير من الوظيفة المرجعية إلى الوظيفة العلمية والتربوية وأيضا خدمة التراث العربي والإسلامي بوجه عام واللغة العربية والنحو العربي بوجه خاص. إنه بحق لديه ذوق لا ينكر فى التناول النحوي وفنية فى الشرح والعرض وفى فهم القضايا وتوجيه كثير من المعاني النحوية المتولدة عن التراكيب القرآنية وبالوقوف على استنطاق التفسير لاستقراء تفكيره النَّحوي فقد جاء البَحْثُ فى **فصلين** **الأول**: المؤثِّراتُ فى مذهب البيضاويِّ النَّحوي ويشمل ثلاثة مباحث: **الأول**: مذهب سيبويه. و**الثاني**: مذهب الزَّمخشري. **والثالث**: الخلاف المذهبي بين البَصريين والكُوفيين. **والفصل الثاني**: مكونات التَّفكير النَّحوي عند البيضاويِّ ويشمل أربعة **مباحث**: **الأول**: القراءات المطَّردة والشَّاذة. **الثَّاني**: المناهج الأصولية: (التَّأويل ـ والتَّضمين ـ والتَّوهم ـ التَّوسع ـ الحمل على المعنى أو المحلِّ). **الثَّالث**: الجمع بين الأضْعَفِ والأَقْوَى. **الرَّابع**: فلسفة التَّجْويز وتقْليْب الوجوه. والخاتمة وثبتًا من المصادر والمراجع.

الفَصْلُ الأوَّلُ: المؤثِّراتُ فى مذهب البيْضَاوى النَّحوى:

المبحث الأوَّل: مذهب سيبويه: بداية كان البيضاوي بصري المذهب لكنه فيه كالمتحرج ولا أدري لماذا؟ وضح ذلك من خلال قوله: أصحابنا البصريين[1] ومن خلال رد بعض الآراء إلى سيبويه وهو ما يتضح فى حينه والحكم فيها بمذهبه والاستدلال بعباراته من حين لآخر وترجيحه إذا طلبته الحاجة إلى ذلك كمسألة أصل اشتقاق[2] الاسم فرجح مذهب البصريين القائل: إنه من السمو وهو العلو وعلل ذلك بذوقه ورؤاه على مذهب الكوفيين القائل: إنه من الوسم وهو العلامة. وذهب مذهب الخليل وسيبويه[3] في إيا بأنه ضمير منصوب منفصل، وما يلحقه من الياء والكاف والهاء حروف زيدت لبيان التكلم والخطاب والغيبة لا محل لها من الإعراب، كالتاء في أنتَ والكاف في أرأيتك. وقال الخليل: إيَّا مضاف إليها، واحتج بما حكاه عن بعض العرب إذا بلغ الرجل الستين فإياه وإيَّا الشواب، وهو شاذ لا يعتمد عليه.

ووقف[4] على غشاوة من آية البقرة 7 وقال: رفع بالابتداء عند سيبويه، وبالجار والمجرور عند الأخفش. ووقف[5] على (لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ)26 من البقرة وقال: أَنْ بصلتها مخفوض المحل عند الخليل بإضمار من، منصوب بإفضاء الفعل إليه بعد حذفها عند سيبويه. واستدل[6] بقول سيبويه في أما على أنها حرف تفصيل يفصل ما أجمل ويؤكد ما به صدر ويتضمن معنى الشرط، ولذلك يجاب بالفاء ثم ذكر عبارته التي تقول: أما زيد فذاهب معناه، مهما يكن من شيء فزيد ذاهب. وَذهب مذهب البصريين[7] فى الضمير المنفصل نحو قوله: (اسْكُنْ أَنْتَ

---

[1] تفسير البيضاوي 26/1.

[2] الإنصاف فى مسائل الخلاف 8/1.

[3] الكتاب 279/1و تفسير البيضاوي 29/1.

[4] تفسير البيضاوي 43/1.

[5] المصدر السابق 1/ 63.

[6] المصدر السابق 63/1والكتاب 137/3.

[7] المصدر السابق 72/1. الإنصاف 388/2.

وَزَوْجُكَ)35 البقرة بأنه تأكيد أكد به المستكن ليصح العطف عليه من غير قبح. وذهب[1] إلى أن من فى قوله: (فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ)275 من البقرة شرطية ابتدائية على رأي سيبويه. وذكر[2] عند قوله: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآياتِ اللَّهِ ... فَبَشِّرْهُمْ)21 البقرة أن سيبويه قد منع إدخال الفاء في خبر إن كليت ولعل. وذهب مذهب سيبويه[3] الذى أجاز أن تكون (مالك الملك)26 آل عمران نداء ثانيا كأنه قيل: قل اللهم يا مالك الملك. وعرَّج[4] على تأويل سيبويه القائل بأن مِنَ الصَّلَاةِ من قوله: (أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ)101 النساء صفة محذوف أي: شيئاً من الصلاة. ووقف[5] على قوله: (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا)38 المائدة وقال: هما جملتان عند سيبويه إذ التقدير فيما يتلى عليكم السارق والسارقة أي حكمهما. وكذلك وقف[6] على (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي)2 النور وقال معناه: أو فيما فرضنا أو أنزلنا حكمهما وهو الجلد وهو أحد أراء الكتاب. واستدعى[7] تحليل سيبويه لمهما 132 الأعراف قائلا: أصلها ما الشرطية ضمت إليها ما المزيدة للتأكيد، ثم قلبت ألفها هاء استثقالاً للتكرير. وذكر[8] المذهب البصري القائل: إنه لا يلى الشرط إلا الفعل وارتفاع أحد فى قوله: (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجارَكَ)6 التوبة على الفاعلية بفعل محذوف يفسره المذكور لا بالابتداء على رأي آخرين لأن إن من عوامل الفعل. وكذلك بعد لو[9] فى نحو قوله: (وَلَوْ أَنَّما فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِماتُ) 27 لقمان على تقدير لو ثبت كون الأشجار أقلاماً، وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ.

---

[1] المصدر السابق 162/1.

[2] المصدر السابق 10/2.

[3] المصدر السابق 11/2.

[4] المصدر السابق 93/1.

[5] المصدر السابق 126/2.

[6] المصدر السابق 98/4.

[7] المصدر السابق 30/3 والكتاب 59/3و60.

[8] المصدر السابق 72/3.

[9] المصدر السابق 216/4.

وأيد[1] تأويل سيبويه وتقديره فى قوله: (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ)35 الرعد حين قدر أن تكون مثل مبتدأ خبره محذوف أي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة. أو على زيادة المثل, ولا أدرى كيف يكون المعنى آنذاك. وَاستدل[2]بقول سيبويه فى لفظ الْأَنْعَامِ إذ ذكر أنه اسم جمع وأن سيبويه قد عده في المفردات المبنية على أفعال كأخلاق وأكياس. ومنع أن يتقدم الفاعل[3] على عامله سيرا على مذهب البصريين لمنع اللبس, ورد مذهب من ذهب إلى أن عنه من قوله: (كانَ عَنْهُ مَسْؤُلاً)36 الإسراء فاعل بالمتأخر والمعنى يسأل صاحبه عنه، وهو خطأ لأن الفاعل وما يقوم مقامه لا يتقدم. ورجح قول سيبويه فى وَحْدَهُ 46 الإسراء بأنه مصدر وقع موقع الحال وأصله يحد وحده بمعنى واحداً وحده. وأيد إعمال البصريين للعامل الثاني فى التنازع[4] من قوله: (آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً)96 الكهف بقوله: فحذف الأول لدلالة الثاني عليه. وبه تمسك البصريون على أن إعمال الثاني من العاملين المتوجهين نحو معمول واحد أولى، إذ لو كان قطرا مفعول آتوني لأضمر مفعول أفرغ حذراً من الإلباس. وَذهب مذهب سيبويه واستدعى ألفاظه فى المصادر[5] التي جاءت منصوبة مؤكدة لنفسها ولمضمون الجملة المتقدمة عليها كقوله: (صبغة الله)138 البقرة (صُنْعَ اللَّهِ)88 النمل (وَعْدَ اللَّهِ)6الروم لأن ما قبلها خلق وصنع ووعد. ولا يمتلك البيضاوي جديدا فى التأصيل النحوي[6] الذي طال كثيرا من الكلمات القرآنية غير ما سطره الرعيل الأول ودونوه فى كتبهم كقوله: (وَيْكَأَنَّهُ)82 القصص إذ ذكروا أنها مركبة من «وي» للتعجب «وكأن» للتشبيه والمعنى: ما أشبه الأمر أَنَّ الله يَبْسُطُ الرزق. وقيل من «ويك» بمعنى ويلك و «أن» تقديره ويك اعلم أن الله. وسواء قرئت (بِأَيِّ أَرْضٍ) أو(بِأَيَّةِ أَرْضٍ)34 لقمان فقد ذكر البيضاوي[7] أن تأنيثها مشبه عند سيبويه بـكل في كُلُّهُنَّ. وأكثر ما يؤكد بصريته فى المسائل الخلافية أنه لا يجيز العطف على

[1] المصدر السابق 189/3.

[2] المصدر السابق 232/3.

[3] المصدر السابق 255/3.

[4] المصدر السابق 3/ 293 والإنصاف 71/1 وما بعدها.

[5] المصدر السابق 169/4و202و213.

[6] الكتاب 154/2. وتفسير البيضاوي 186/4.

[7] تفسير البيضاوي 218/4.

الضمير المجرور فى نحو: (وَفِي خَلْقِكُمْ وَما يَبُثُّ مِنْ دابَّةٍ) بقوله: وَلاَ يحسن عطف ما على الضمير المجرور. أما قوله: (فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِداءً) 4 محمد هو ما قاله سيبويه نفسه فى باب ما ينتصب فيه المصدر[1] فى سعة الكلام وكأنه قيل: فإما تمنون منا أو تفدون فداء، والمراد التخيير بعد الأسر بين المن والإطلاق وبين أخذ الفداء. هذا أقل ما يمكن أن يثبت بصرية البيضاوي، وإنما أردت شيئا من الإيجاز كي أراعي حجم البحث.

[1] الكتاب 336/1. وتفسير البيضاوي 120/5.

المبحث الثَّاني: مذهب الزَّمخشري:

وهو مبحث شيق بالنسبة لي حيث تتبعت البيضاوي وتتبعت كلامه وعباراته وألفاظه من أين استقاها وكيف حللها وكيف وظفها في المسائل سواء كانت نحوية أو بلاغية لكنني هنا اقتصرت على الجانب النحوي فوجدت أنها من أثر تأثير الزمخشري "رحمه الله" فى فكر البيضاوي وأنا أحب أن أردد ألفاظ الزمخشري من قاموسه لأنه من إبداعه هي خاصة به كونت شخصيته وفكره وكيانه وجعلته نسيجا وحده فمن ذلك مثلا [1]عند قوله: (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ) 3 البقرة قال: وتعديته بالباء لتضمنه معنى الاعتراف ... على تقدير ملتبسين. وهذ تركيب الزمخشري وسوف نجد هذا المصطلح مكررا فيما بعد.

وذكره أيضا عند قوله: (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ) 27 المائدة بِقوله: بِالْحَقِّ صفة مصدر محذوف أي تلاوة ملتبسة بالحق ... أو من نبأ أي ملتبساً بالصدق[2]. وقال الزمخشري: تلاوة ملتبسة بالحق والصحة. أو اتله نبأ ملتبسا بالصدق موافقا لما في كتب الأوّلين. هنا يظهر التأثير تأثير السابق فى اللاحق. وعندما وقف على تفسير (عَلى هُدىً) قال الزمخشري3: ومعنى الاستعلاء في قوله: (عَلى هُدىً) مثل لتمكنهم من الهدى، واستقرارهم عليه، وتمسكهم به؛ شبهت حالهم بحال من اعتلى الشيء وركبه. وقال البيضاوي4: ومعنى الاستعلاء في عَلى هُدىً تمثيل تمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه بحال من اعتلى الشيء وركبه. فهي صياغة ذكية منه، وإنما أتيت بالنصين لأبين لك إلى أي مدى

---

[1] المصدر السابق 38/1 و الكشاف 1/ 38.

[2] البيضاوي 123/1 والكشاف 624/1.

[3] الكشاف 44/1.

[4] تفسير البيضاوي 41/1.

كان تأثير السابق، فهما واحد ولا فرق ولا خلاف. وعند قوله: (أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّماءِ) 19 البقرة قال[1]: أَوْ للتساوي في الشك، ثم اتسع فيها فأطلقت للتساوي من غير شك مثل: جالس الحسن أو ابن سيرين، وقوله تعالى: وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً. فإنها تفيد التساوي في حسن المجالسة ووجوب العصيان. انظر ولاحظ وقارن وقس بين تلك الصياغة وألفاظها وحتى المثال المستخدم وبين صياغة الزمخشري التي تقول[2]: أو في أصلها لتساوى شيئين فصاعدا في الشك، ثم اتسع فيها فاستعيرت للتساوي في غير الشك، وذلك قولك: جالس الحسن أو ابن سيرين، تريد أنهما سيان في استصواب أن يجالسا. حتى إن الاستحسان والذوق واحد الأول قال: حسن المجالسة والثاني قال: استصواب أن يجالسا. ومن ذلك التأثير فى المسائل الشرطية، إذا تضمن المبتدأ معنى الشرط جاز دخول الفاء على خبره وذلك على نوعَيْن: الاسمُ الموصولُ، والنكرةُ الموصوفةُ إذا كانت الصلةُ أو الصفةُ فعلاً أو ظرفًا، كقول الله تعالى: (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ ... فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ) 274البقرة (وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ)53 النحل أما إذا دخلت إن نحو: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ... فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ 62 البقرة فقال[3]: وقد منع سيبويه دخولها في خبر إن من حيث إنها لا تدخل الشرطية. وهذا موقف الزمخشري ذاته[4] فى تلك المواضع حين قال: وفي دخولِ "إنَّ" خلافٌ بين الأخفش وصاحبِ الكتاب". وقف[5] على لفظة (كَافَّةً)208 البقرة وقال: تؤنث كالحرب، قال: "والحرب يكفيك من أَنَفَاسِهَا جُرَعُ". وهذا الاستشهاد استشهاد الزمخشري ولفظه.

وعند تفسير قوله: (وَلا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا) 224البقرة قال: وأن مع صلتها عطف بيان لها، واللام صلة عرضة لما فيها من معنى الاعتراض، ويجوز أن تكون للتعليل ويتعلق أن بالفعل أو بعرضة أي ولا تجعلوا الله عرضة لأن تبروا لأجل أيمانكم به[6]. وبأقل إعمال أو ملاحظة تبينت أن هذا النص وهذا التخريج هو للزمخشري؛ رغم أن أبا حيان وقف عليه وعارضه فيه لِأَنَّهُ عَلَّقَ: لِأَيْمَانِكُمْ، بِتَجْعَلُوا؛ وَعَلَّقَ: لِأَنْ تَبَرُّوا بِعُرْضَةً مع وجود

[1] السابق 51/1.

[2] الكشاف 81/1.

[3] البيضاوي 85/1.

[4] الكشاف 146/1 وشرح ابن يعيش 250/1.

[5] البيضاوي 134/1. والكشاف 252/1.

[6] البيضاوي 140/1. الكشاف 268/1.

الفصل بَيْنَ الْعَامِلِ وَالْمَعْمُولِ بِأَجْنَبِيٍّ. وإن كان هذا النقد لأبي حيان مبالغ فيه لأن الأولى أن يتعلق المصدر المؤول بالفعل بدلا من المصدر الصريح ولا يوجد نص صريح يمنعه. ومع ذلك أغفل البيضاوي معارضة أبي حيان واستدل بتخريج الزمخشري. ونقل عنه أيضا ما قاله فى تحليل الموقف النحوي بكامله لقوله: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا ... بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ) 43النحل قال: أي أرسلناهم بالبينات والزبر ... كأنه جواب قائل قال: بم أرسلوا؟ ويجوز أن يتعلق بما أرسلنا داخلاً في الاستثناء مع رجالاً أي: وما أرسلنا إلا رجالاً بالبينات كقولك: ما ضربت إلا زيداً بالسوط، أو صفة لهم أي رجالاً ملتبسين بالبينات[1]. ونقل عنه كذلك معنى آية طه (وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ)71 بقوله: شبه تمكن المصلوب بالجذع بتمكن المظروف بالظرف[2]. ونقل عنه معنى (تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ) 20 المؤمنون بقوله: تنبت ملتبساً بالدهن ومستصحباً له ... أو على تقدير تَنْبُتُ زيتونها ملتبسا بالدهن[3]. وفي قوله: (إِنَّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ)2 الزمر قال: ملتبساً بالحق أو بسبب إثبات الحق وإظهاره وتفصيله[4]. وفى قوله: (تِلْكَ آياتُ اللَّهِ نَتْلُوها عَلَيْكَ بِالْحَقِّ) 6 الجاثية قال البيضاوي: بِالْحَقِّ ملتبسين به أو ملتبسة به[5]. ومما تأثر به البيضاوي مصطلح الخذلان الذي كان يستخدمه الزمخشري مع الضلال والكفر من حين لآخر نجد البيضاوي يستخدمه أيضا فى مواضعه يقف عند قوله: (وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ) 253البقرة ويقول: وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ لإعراضه عنه بخذلانه... فاللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ فيوفق من يشاء فضلاً، ويُخذل من يشاء عدلاً[6]. وهذا كلام المعتزلي وليس كلام البيضاوي. وانظر إلى تفسيره لقوله: (وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ) 53الأنعام على أن فتنا متضمن معنى خذلنا[7]. وعند تفسير قوله: (يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ)125الأنعام قال: يجعل العذاب أو الخذلان عليهم. وعند قوله: (وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْناها فَجاءَها بَأْسُنا بَياتاً أَوْ هُمْ قائِلُونَ) 4 الأعراف قال البيضاوي: وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ كثيرا

[1] البيضاوي 228/3 والكشاف 607/2 و 608.
[2] البيضاوي 33/4 والكشاف 76/3.
[3] البيضاوي 85/4 والكشاف 76/3.
[4] البيضاوي 36/5.
[5] البيضاوي 105/5.
[6] البيضاوي 152/1 والكشاف 299/1و546.
[7] البيضاوي 2/ 164و181 والكشاف 373/2.

من القرى؛ أَهْلَكْناها أردنا إهلاك أهلها، أو أهلكناها بالخذلان ... بَياتاً بائتين ... مصدر وقع موقع الحال. أَوْ هُمْ قائِلُونَ عطف عليه أي: قائلين نصف النهار كقوم شعيب، وإنما حذفت واو الحال استثقالاً لاجتماع حرفي عطف، فإنها واو عطف استعيرت للوصل لا اكتفاء بالضمير فإنه غير فصيح[1]. ولقد جاءت عبارات الزمخشري فيه على النحو التالي: فجاءهم بأسنا بائتين؛ وحذفت الواو استثقالا. لاجتماع حرفي عطف، لأنّ واو الحال هي واو العطف استعيرت للوصل، وقوله أَهْلَكْناها معناها أردنا إهلاكها أضف إلى ذلك ما فيها من وجوه نحوية إذًا النص والتخريج هو للزمخشري.

وعند قوله: (فَرِيقاً هَدى وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالَةُ) 30 الأعراف قال البيضاوي[2]: وانتصابه بفعل يفسره ما بعده أي وخذل فريقاً. إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّياطِينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ تعليل لخذلانهم أو تحقيق لضلالهم. يلاحظ أن هذا تقدير الزمخشري وتخريجه وأسلوبه. وعند قوله: (إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا)37 التوبة قراءة البناء للفاعل وهو الله تعالى، والمعنى خذلهم وأضلهم حتى حسبوا قبيح أعمالهم حسناً. وهكذا على شاكلة ما سيأتي. وحين وقف عند تفسير قوله: (فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)259 البقرة قال: فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ فاعل تبين مضمر يفسره ما بعده تقديره: فلما تبين له إن الله على كل شيء قدير. قالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فحذف الأول لدلالة الثاني عليه، أو يفسره ما قبله أي فلما تبين له ما أشكل عليه[3]. وهذا كلام الزمخشري نفسه وتخريجه الذي عارضه فيه أبو حيان حين جَعَلَ ذَلِكَ مِنْ بَابِ الْإِعْمَالِ والتنازع ولسنا فى حاجة إلى مناقشة ذلك وصحته من عدمه حتى لا نخرج عن تلابيب الموضوع ورغم ذلك استدعى البيضاوي مذهب الزمخشري. ونحو ذلك عند قوله: (فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً)269 البقرة قال البيضاوي: ومن يؤته الله الحِكمة. فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً أي: أيُّ خير كثير[4]؟. وهو كلام الزمخشري نفسه وعارضه فيه أبو حيان بدعوى أنه لا يوجد فِي لِسَانِ الْعَرَبِ تَنْكِيرَ تَعْظِيمٍ، وَيَحْتَاجُ إِلَى الدَّلِيلِ عَلَى ثُبُوتِهِ. ورغم ذلك جيء بتقدير الزمخشري هنا لمعناه الموافق للنظم القرآني والإبداع فى التراكيب. وعند قوله: (قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيمانِهِمْ وَشَهِدُوا)86 آل

---

1 البيضاوي 5/3 والكشاف 87/2.

[2] البيضاوي 10/3 و 81 والكشاف 270/2

[3] البيضاوي 156/1 والكشاف 158/1.

[4] البيضاوي 1/ 160 والكشاف 163/1والبحر المحيط335/2.

عمران قال البيضاوي: وَشَهِدُوا عطف على ما في إِيمانِهِمْ من معنى الفعل ونظيره فأصدق وأكن[1]. واختلفا فقط فى أن البيضاوي أتى بشاهد قرآني فى التوهم والزمخشري أتى بشاهد شعرى من الكتاب. وأما قوله: (وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا)103البقرة (وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ)5 الحجرات (وَلَوْ أَنَّهُمْ قالُوا) 46النساء فعلى تقدير لو ثبت وأنهم بعدها في موضعٍ فاعل بفعل محذوف. فهذا مذهب سيبويه والمبرد والزمخشري, لأن الموضع للفعل، فإذا وقع فيه اسمٌ أو ما هو في حكم الاسم؛ كان على إضمار فعل. وممن سار على منهجهم البيضاوي[2]. وأعتقد أن لفظ التأبيد واستعماله مرتبط بالزمخشري ومن إبداعه فلن تراني معروفة واستخدمه البيضاوي أيضا عند آية المائدة (إِنَّا لَنْ نَدْخُلَها أَبَداً) 25 قالُوا ذلك لموسى على سبيل التأكيد والتأبيد[3]. وقال الزمخشري: لَنْ نَدْخُلَها نفى لدخولهم في المستقبل على وجه التأكيد المؤيس. وأَبَداً تعليق للنفي المؤكد بالدهر المتطاول. وما دامُوا فِيها بيان للأبد. واختصرهن البيضاوي فى الكلمتين السابقتين. وأعرب الزمخشري شهادة من قوله: (شَهادَةً بَيْنَكُمْ ...اثْنانِ) 106 المائدة قِرَاءَة السُّلَمِيِّ وَالْحَسَنِ مفعولا به بفعل أمر مقدر كأنك قلت: ليقم شهادة اثنان. وعارض ذلك أبو حيان معللا وإن ادعى دفاعا عن القراء والقراءات وقال البيضاوي: وقرئ «شَهَادَةً» بالنصب والتنوين على ليقم[4]. وكأن معارضات أبي حيان للزمخشري زرا فى الرماد بلا فائدة.

وأعتقد أن كل ما سأسوقه من نصوص ومعانى وألفاظ وصياغات وتخريجات ووقفات نحوية على هذا النمط من الكشاف تبين إلي حد بعيد التأثير والتأثر بين الرجلين. انظر إلى تفسيره لِقَدْ من قوله: (قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ) 33 الأنعام حيث قال[5]: معنى قد زيادة الفعل وكثرته كما في قوله: وَلَكِنَّهُ قَدْ يُهْلِكُ المالَ نَائِلُهْ. وفى تفسير قوله: (كتاب أنزل إليك فَلا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ) 2 الأعراف قال البيضاوي[6]: لأنه إذا أيقن أنه من عند الله جسر على الإنذار. وقال الزمخشري: لأن صاحب اليقين جسور متوكل على ربه. فالعبارة والمعنى واحد. وفى

[1] البيضاوي 27/2 والكشاف 381/1.

[2] البيضاوي 77/2 وشرح ابن يعيش 529/4

[3] البيضاوي 122/1 والكشاف 621/1.

[4] البيضاوي 147/2 والكشاف 687/1 والبحر 44/4.

[5] البيضاوي 159/2.والكشاف 17/2.

[6] البيضاوي 5/3 والكشاف 86/2.

تفسير لفظة: (عُدَّةً) 46 التوبة قال البيضاوي: عُدَّةً أهبة وقرئ «عده» بحذف التاء عند الإضافة كقوله: ... وَأَخْلَفُوكَ عَدَّا الأمر الّذي وعدوا؛ و «عده» بكسر العين بالإضافة و «عدة» بغيرها[1]. وخرج ذلك الزمخشري نصا فى موضعه. وقال البيضاوي عند قوله: (رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ) 40 إبراهيم. وَمِنْ ذُرِّيَّتِي عطف على المنصوب في اجْعَلْنِي[2]. قال الزمخشري: وَمِنْ ذُرِّيَّتِي وبعض ذُرِيَّتي، عطفا على المنصوب في اجعلني. وعند تفسير قوله: (وَما أَهْلَكْنا مِنْ قَرْيَةٍ إِلاَّ وَلَها كِتابٌ مَعْلُومٌ) 4 الحجر والمستثنى جملة واقعة صفة لقرية، والأصل أن لا تدخلها الواو كقوله: إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ ولكن لما شابهت صورتها الحال أدخلت تأكيداً للصوقها بالموصوف[3]. ولا أستطيع إلا أن أقول: هذا تكرار لكلام الزمخشري وتخريجه ... وقد نقل عنه أيضا معنى جَنَّاتِ عَدْنٍ 61 مريم بقوله: علم للعَدْنِ بمعنى الإِقامة[4]. قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: عَدْنٍ مَعْرِفَةٌ عَلَمٌ لِمَعْنَى الْعَدْنِ وَهُوَ الْإِقَامَةُ. ونقل البيضاوي عنه أيضا مصطلح المفاجأة وفعله ومعناه وتخريجاته فى مواضع من التفسير من ذلك (فألقوا فإذا حبالهم) 66 طه بقوله: وهي للمفاجأة والتحقيق أنها أيضاً ظرفية تستدعي متعلقاً ينصبها وجملة تضاف إليها، لكنها خصت بأن يكون المتعلق فعل المفاجأة والجملة ابتدائية والمعنى: فألقوا ففاجأ موسى عليه الصلاة والسلام وقت تخييل سعي حبالهم وعصيهم من سحرهم[5]. ونقل عنه تفسير (لَمْ يَكَدْ يَراها) 40النور بقوله: لَمْ يَكَدْ يَراها لم يقرب أن يراها فضلاً أن يراها كقول ذي الرمة:

إِذَا غَيَّرَ النَّأْيُ المحِبِّينَ لَمْ يَكد ... رَسِيسُ الهَوَى مِنْ حُبِّ مَيَّةَ يَبْرَحُ[6]

وهناك جمل منسوخة[7] من الكشاف كالذي ذكرها عند تفسير (وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غافِلُونَ) 7 الروم كقوله: وهو على الوجهين مناد على تمكن غفلتهم عن الآخرة. ومثل ذلك معنى ثُمَّ من قوله: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآياتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْها)22 السجدة قال[8]: وثُمَّ لاستبعاد الإعراض عنها مع فرط وضوحها وإرشادها إلى أسباب السعادة بعد التذكير بها عقلاً. قال

---

[1] البيضاوي 83/3 والكشاف 275/2.

[2] البيضاوي 203/3 والكشاف 561/2.

[3] البيضاوي 206/3 والكشاف 570/2.

[4] البيضاوي 14/4 والكشاف 415/2

[5] البيضاوي 32/4 والكشاف 439/4.

[6] البيضاوي 109/4 والكشاف 244/3.

[7] البيضاوي 202/4 والكشاف 468/3.

[8] البيضاوي 222/4 والكشاف 515/3.

الزمخشري: ثم في قوله ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْها للاستبعاد. أما قوله: (إِنْ نَظُنُّ إِلاَّ ظَنًّا) 32 الجاثية فقال البيضاوي: أصله نظن ظناً فأدخل حرفا النفي والاستثناء لإثبات الظن ونفي ما عداه كأنه قال: ما نحن إلّا نظن ظناً[1]. قال الزمخشري: أصله نظن ظنا. ومعناه: إثبات الظن فحسب، فأدخل حرفا النفي والاستثناء، ليفاد إثبات الظن مع نفى ما سواه وزيد نفى ما سوى الظن توكيدا.

وأنكره أبو حيان بحجة أن التفريغ لا يكون فى المصدر وفيه كلام طويل ينظر فى حينه. وأما قوله: (لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرى لِلْمُحْسِنِينَ) 12الأحقاف فقال: وَبُشْرى لِلْمُحْسِنِينَ عطف على محله. وقال الزمخشري: وَبُشْرَى فِي مَحَلِّ النَّصْبِ، مَعْطُوفٌ عَلَى مَحَلِّ لِيُنْذِرَ، لِأَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ[2]. وفى هذه المسألة كلام طويل وهام يمكن أن يقال ردا على ما أثير حول فلسفة جواز عطف بشرى على لينذر الموحاة من فكر الزمخشري والمفعَّلة من معارضة أبي حيان وبصرف النظر عن مدى الصحة فيها فإن لي بحثا فى هذا الموضوع فلا داعى لذكره ولكن الذي يهمني هو موقف البيضاوي مما أثاره من مسائل وقضايا هنا فى هذا المبحث وفى غيره من المباحث التى ستأتي تباعا هل كان البيضاوي مبدعا إيجابيا ناقدا محللا معللا هل أعار اهتماما حتى ولو كان ضعيفا بتلك التخريجات النحوية التى ذكرها هل وقف على درجة مستواها وطرافتها هل عقد مقارنة بين رأي وآخر هل كانت هناك تفاعلية مع تلك الآراء التى صفها جنبا إلى جنب هل تفرد برأي جلب له الضجيج مثلما جلب للزمخشري هذا ليس عيبا أن تخطئ مرة وتصيب مرات لكن العيب أن تكون نمطيا متلقيا منتظرا أفكار الآخرين حتى تأتيك. ومع كل ذلك لا بأس فإن هذا تأليف حسن أمسك فيه البيضاوي بتلابيبه فالكتاب تعليمي تربوي من الدرجة الأولي فى مستوى كتب التفسير بل يفوق كثيرا منها وبخاصة فى الجانب النحوي والبلاغي الذى أعجبت أنا به فهو جذاب للناشئة والمتعلمين شيق فى عرضه مختصر فى معناه إلى حد كبير لأن كثرة الكلام يأكل بعضه بعضا.

[1] البيضاوي 109/5 والكشاف 293/4.

[2] الكشاف 445/3. والبيضاوي 113/5.

المبحث الثَّالث: الخلاف المذهبي بين البَصريِّين والكُوفيِّين:

لماذا؟ لأنه لا يستطيع أن يدلف فى الدرس النحوي يناقش ويدلل ويعلل ويقيس ويعالج دون أن يرجع إلي تلك المدرستين العريقتين ومن هنا كان يستأنس بهما إذ هما مصدر الاحتجاج وأرض النشأة والتقعيد؛ البصرة أول من وضعت النحو ووضعت أصوله وقواعده ومكنت له فى الحياة على يد الخليل الذي أقام النحو بكل ما يتصل به من نظرية العوامل والمعمولات وبكل ما يسنده من سماع وتعليل وقياس سديد وتذوق لخصائص التراكيب. والكوفة أول ما تميزت به طابع الاتساع فى رواية الشاذ والنادر والغريب والمجهول وتميزت فى بسط القياس وقبضه والاجتهاد فيه والخلوص إلى آراء مبتكرة فى الفروع ومن حيث كثرة الاستنباطات والتعليلات والاحتجاجات؛ فكان لزاما عليه أن يكونا حاضرين فى درسه النحوي.

ولعل أول ما استأنس به هو قضية رافع المبتدأ ورافع الخبر "العامل والمعمول" قضية خلاف بين البصريين والكوفيين[1] أثارها البيضاوي عند قوله: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَواءٌ) 6 البقرة ثم قال: (إن) من الحروف التي تشابه الفعل في عدد الحروف والبناء على الفتح ولزوم الأسماء وإعطاء معانيه، والمتعدي خاصة في دخولها على اسمين. ولذلك أعملت عمله الفرعي وهو نصب الجزء الأول ورفع الثاني إيذاناً بأنه فرع في العمل دخيل فيه. وقال الكوفيون: الخبر قبل دخولها كان مرفوعاً بالخبرية، وهي بعد باقية مقتضية للرفع قضية للاستصحاب فلا يرفعه الحرف. وأجيب بأن اقتضاء الخبرية الرفع مشروط بالتجرد لتخلفه عنها في خبر كان، وقد زال بدخولها فتعين إعمال الحرف[2]. وإجابة البيضاوي دليل على تأييده للمذهب البصري, وهناك تحقيق مطول لابن الأنباري بينهم فلا داعي لإعادته.

وعند قوله: (وَلَنْ تَفْعَلُوا) 24 البقرة قال: وَلَنْ كـ لا في نفي المستقبل غير أنه أبلغ وهو حرف مقتضب عند سيبويه والخليل في إحدى الروايتين عنه، وفي الرواية الأخرى أصله لا أن، وعند الفراء لا فأبدلت ألفها نوناً[3]. أتى برأي المدرستين استقواء لدرسه. وعند قوله: (وَإِنْ كانَتْ لَكَبِيرَةً)143 البقرة قال: أنْ هي المخففة من الثقيلة، واللام هي الفاصلة. وقال الكوفيون هي النافية واللام بمعنى إلا[4]. وهذه مسألة خلافية؛ ذهب الكوفيون إلى أنَّ "إِنْ" إذا جاءت بعدها اللام تكون بمعنى "ما" واللام بمعنى "إلا". وذهب البصريون إلى أنها مخفّفة من الثقيلة، واللام بعدها لام التأكيد. ولم يرجح البيضاوي مذهبا على آخر ربما لأن ابن الأنباري قد حقق فيها. وعند قوله: (أَرَأَيْتَكُمْ)40الأنعام نقل البيضاوي مذهب البصريين والزمخشري في أن الكاف حرف خطاب أكد به الضمير للتأكيد لا محل له من الإعراب لأنك تقول: أرأيتك زيداً ما شأنه فلو جعلت الكاف مفعولاً كما قاله الكوفيون لعديت الفعل إلى ثلاثة مفاعيل، ولَلَزِم في الآية أن يقال: أرأيتموكم بل الفعل معلق أو المفعول محذوف تقديره: أرأيتكم آلهتكم تنفعكم[5].

---

[1] الإنصاف في مسائل الخلاف 38/1

[2] البيضاوي 41/1.

[3] البيضاوي 58/1.

[4] البيضاوي 111/1. والإنصاف في مسائل الخلاف 526/2.

[5] البيضاوي 161/2 والكشاف 22/2

ولم يظهر فى كلام الفراء[1] أنه ذكر ثلاثة مفاعيل أو أفاد اللزوم الذي أشار إليه البيضاوي غير أنه ذكر أن الكاف نصب. ومن المسائل الهامة التي لزم أن يستأنس بها البيضاوي مسائل متعلقة بمعرفة أصول الكلمات واشتقاقاتها مثل: (هَلُمَّ)150 الأنعام ومعناها أحضروا، استشهد البيضاوي بمذهب المدرستين فيها قال: وهو اسم فعل لا يتصرف عند أهل الحجاز، وفعل يؤنث ويجمع عند بني تميم وأصله عند البصريين: ها لُمَّ من لُمَّ إذا قصد حذفت الألف لتقدير السكون في اللام فإنه الأصل، وعند الكوفيين هل أم فحذفت الهمزة بإلقاء حركتها على اللام[2].

ويلاحظ أن البيضاوي لم يقنع برأي الكوفيين بدليل أنه قال بعده: وهو بعيد لأن هل لا تدخل الأمر ويكون متعدياً كما في الآية ولازماً كقوله هلم إلينا. وأقول: إن مسألة تأصيل الكلمات مختلف فيها بين النحويين ولا يجوز لنا أن نقدم فيها رأيا على آخر لأنها عقلية بحتة إلا إذا أخذنا فيها بمذهب الظاهريين القائلين فيها وفى غيرها باستصحاب الحال. واحتج بهما عند قوله: (أَيُّهُمْ أَشَدُّ) 69مريم إذ وقف على مسألة خلافية[3] "أي" الموصولة أمعربة هي أم مبنيّة ؟ ووجوه التأويل فيها وذكر أن أَيُّهُمْ هنا مبنية على الضم عند سيبويه ثم علل ذلك لأن حقه أن يبنى كسائر الموصولات، لكنه أعرب حملاً على كُلِّ وبعض للزوم الإضافة وإذا حذف صدر صلته زاد نقصه فعاد إلى حقه منصوب المحل بننزعن، ولذلك قرئ منصوباً. ثم ذكر مذهب الخليل القائل: إنه مرفوع بالابتداء، و"أفضل" خبره، ويجعل "أيهم" استفهامًا، ويحمله على الحكاية بعد قول مقدر وتقدير الكلام: لَنَنْزِعَنَّ من كل شيعة الذين يقال فيهم أيهم أشد. وذكر مذهب يونس بن حبيب القائل: إنه مرفوع بالابتداء على أنه استفهامي وخبره أَشَدُّ ولَنَنْزِعَنَّ معلق عنها ويكون بمنزلة أفعال القلوب فى التعلق. وذكر مذهبا آخر وهو أن تكون مستأنفة والفعل واقع على مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ على زيادة من أو على معنى لننزعن بعض كل شيعة[4]. ولم يتطرق إلى المذهب الكوفي القائل إنها معربة منصوبة بالفعل المذكور وهو الأسهل.

---

[1] معاني القرآن 333/1.

[2] البيضاوي 188/2.

[3] البيضاوي 16/4 والكتاب 399/2 والإنصاف 583/2.

[4] البيضاوي 17/4.

مسألة أخرى ناقشها وحللها مستدعا ما قيل فيها من قبل المدرستين ليس غير عند قوله: (وَلاتَ حِينَ مَناصٍ) 3 ص أي ليس الحين حين مناص، ثم قال: ولا هي المشبهة بليس زيدت عليها تاء التأنيث للتأكيد كما زيدت على رب وثم، وخصت بلزوم الأحيان وحذف أحد المعمولين، وقيل هي النافية للجنس أي ولا حين مناص لهم، وقيل للفعل والنصب بإضماره أي ولا أرى حين مناص، وقرئ بالرفع على أنه اسم لا أو مبتدأ محذوف الخبر أي ليس حين مناص حاصلاً لهم، أو لا حين مناص كائن لهم وبالكسر ... وَلاتَ بالكسر كجير، وتقف الكوفية عليها بالهاء كالأسماء والبصرية بالتاء كالأفعال. وقيل إن التاء مزيدة على حين لاتصالها به في الامام ...العَاطِفُونَ تَحِينَ لاَ مِنْ عَاطِف[1].

الفَصْلُ الثـَّـانـي: مُكَوِّنات التَّفكير النَّحوي عِنْد البَيْضاوي:

[1] البيضاوي 24/5.

المبحث الأوَّل: القراءات المطَّردة والشَّاذة: أمر طبيعي أن يتناول البيضاوي القراءات فى تفسيره بالشرح والتحليل لأنه يفسر القرآن الكريم الدليل النقلي المعتبر فى التقعيد النحوي وفى الاستشهاد والاحتجاج بوجه عام. وطبيعي أن يتناولها لأنها عصب التفسير وقلب النظم وعقل النحو ولما لا وهى لا تزال تلعب دورا كبيرا عند الباحثين وسرا عظيما فى ثورة الخلاف وثورة المنطقة بين النحويين على اختلاف مدارسهم وانتماءاتهم الفكرية فنشأ عن ذلك معاني لا حصر لها وتخريجات وأراء وصيغ وتراكيب وتآليف بغرض التوافق معها سواء كانت مطردة أم شاذة لأن القراءة كما يقولون: سنة متبعة لا ينبغي القدح فيها مادامت قد وردت عن راوٍ ثقة وينبغي على المفسر أن يتعامل معها بمنطقية وفلسفة محمودة. إن تفعيل إعمالها إثراء لغوي كبير وإفادة عظيمة للتراث والفكر والقواعد جعلها حيَّة يصعب أن تموت. وأول ما يلقانا فى هذا الإطار من تلك القراءات قراءة ابن مسعود التى ذكرها البيضاوي قوله: (وَتَكْتُمُونَ) 42 البقرة فيكون التقدير: وَلا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْباطِلِ وأنتم تكتمون[1].

وعندي أن قراءة وَتَكْتُمُوا أفضل إحساسا وإعرابا لأن الإعراب بدون تقدير أولى من الإعراب بتقدير. وعرض لقراءة (لا تجزئ) 48 البقرة لأن معناها: من أجزأ عنه إذا أغنى[2]. وكأنه قيل: يَوْماً لاَّ تَجْزِئ نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً. وأقول : هذه القراءة أحدثت ثقلا على اللسان، واللغة العربية تهدف إلى التخفيف. وعرض لقراءة نصب يعقوب من قوله: (وَوَصَّى بِها إِبْراهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ) 132البقرة وهى قراءة شاذة لما استجلى وجهها البيضاوي[3] كما ينبغي واعترى اسلوبه غموضا لكنني فهمت وجه النصب عطفا على بنيه على أن يعقوب داخل فى الوصية ومتعلق بوصَّى المذكورة ولا يوجد تقدير فعل آخر على هذا الوجه. أما قراءة الرفع فواضحة لا لبس فيها. وعرض لقراءة مجهولة تناولها ابن جنى والزمخشري ووردت فى تفسير الطبري وهى (وَلِكُلٍّ وِجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيها) 148البقرة بالإضافة على تقدير: ولكلٍّ وجهةٍ اللَّهُ موليها ،

[1] البيضاوي 48/1.

[2] البيضاوي 78/1.

[3] البيضاوي 108/1.

فزيدت اللام للتأكد جبرا لضعف العامل بالاشتغال وتقدم المفعول1. وقد وجّه أبو حيان لتخريج الزمخشري لتلك القراءة نقدا لمعارضتها القاعدة العامة. وعرض وجهى النصب والجزم فى (فَيَغْفِرُ)(وَيُعَذِّبُ) 284 البقرة فالجزم بالعطف على المجزوم ولا إشكال فيه, والنصب كأنه قيل: وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرَ لِمَنْ يَشاءُ وَيُعَذِّبَ) على معنى أنْ يغفرَ ويعذبَ. لكن وجه الجزم أولى وأخف وأقيس فى الشعر الصحيح واللغة. وإنما يتركز عمل البيضاوي[2] هنا فى هذا المبحث على تقديم المعارف والمعلومات وإقلاله من المهارات. ووقف البيضاوي على قوله: (لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِما مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ) 81 البقرة وعرض لقراءتين[3] غير المطردة أحدهما لحمزة تقول: «لِمَا» بالكسر على أن ما مصدرية أي لأجل إيتائي إياكم بعض الكتاب، ثم مجيء رسول مصدق له أخذ الله الميثاق لتؤمنن به ولتنصرنه، أو موصولة والمعنى أخذه للذي آتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له. والثانية مجهولة تقول: «لَمَا» بمعنى حين آتيتكم، أو لمن أجل ما آتيتكم على أن أصله لمن ما بالإدغام فحذف إحدى الميمات الثلاث استثقالاً. وأقول: لا يقال: لأجل إيتائي إياكم وإنما يقال: لأجل إيتائكم, وقوله : أو لمن أجل ما آتيتكم ...إلخ فتركيب غير مستساغ.

ووقف على قوله: (وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّما نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ) 178آل عمران ثم وقع فى لبس وخلط[4] بين الإعراب فى القراءتين حيث أعرب الذين مفعول به وأَنَّما نُمْلِي لهم بدل منه، على قراءة الياء فخلط بين الإعراب مع الياء والإعراب مع التاء والنص منقول من الكشاف خطأ؛ إذ لا يصح أن تعرب الذين فى قراءة الياء مفعولا به بل تعرب فاعلا. والإعراب على قراءة الياء الذين فاعل وأنما نملي فى محل نصب سد مسد مفعولي حسب. وأما قراءة التاء

---

[1] البيضاوي 1/ 113 .

[2] البيضاوي 165/1.

[3] البيضاوي 25/2.

[4] البيضاوي 50/2 والكشاف 444/1.

فالفاعل ضمير مستتر والذين مفعول به اكتفى به وأَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ بدل منه بمعنى: ولا تحسبنّ أنّ إملاءنا خير.

ووقف على قوله: (تَسائَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحامَ) 1 النساء وقال: وَالْأَرْحامَ بالنصب عطف على محل الجار والمجرور كقولك: مررت بزيد وعمراً، أو على الله أي اتقوا الله واتقوا الأرحام فصلوها ولا تقطعوها. وقرأ حمزة بالجر عطفاً على الضمير المجرور وهو ضعيف لأنه كبعض الكلمة. وقرئ بالرفع على أنه مبتدأ محذوف الخبر تقديره والأرحام كذلك، أي مما يتقى أو يتساءل به[1]. ويلاحظ فى الوجه الأول أن البيضاوي قد ساوى بين العطف على الضمير المجرور وبين تقدير فعل عامل فى الأرحام يفسره المذكور. ويلاحظ أنه قد ضعف قراءة حمزة ومعناها لأنه بصري والبصريون لا يجيزون العطف على الضمير المجرور لأنه كبعض كلمة. والثالث: حمله البيضاوي على تقدير جملة. وعند قوله تعالى: (يُوصى بِها أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ)12 النساء أعرب البيضاوي غير حالا من فاعل يوصى المذكور في قراءة عاصم والمدلول عليه بقوله يوصى على البناء للمفعول وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ مصدر مؤكد أو منصوب بغير مضار على المفعول به، قال: ويؤيده أنه قرئ «غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً» بالإضافة أي لا يضار وصية من الله[2]. وعند قوله: (إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً) 29 النساء عرض قراءة الكوفيين تِجارَةً بالنصب على كان الناقصة وإضمار الاسم أي إلا أن تكون التجارة أو الجهة تجارة[3]. ولم يذكر شيئا عن تأويلها ومعناها. وعرض قراءة النصب فى (فَإِذًا لَا يُؤْتُوا النَّاسَ نَقِيرًا) 53النساء على الإعمال وهى قراءة شاذة مجهولة ولم يعلق عليها[4]. وذكر قراءة الرفع فى (فَأَفُوزَ)73 النساء على تقدير فأنا أفوز في ذلك الوقت، أو العطف على كنت. وأقول: تقدير فأنا أفوز واضح أما العطف على كنت فغير واضح وكأن البيضاوي[5] نقلها عن الزمخشري دون نظر فيها. وعرض لقراءة نصب (غَيْرُ) وجرها من قوله: (لاَّ يَسْتَوِي الْقاعِدُونَ

---

[1] البيضاوي 58/2.

[2] البيضاوي 64/2.

[3] البيضاوي 71/2.

[4] البيضاوي 79/2.

[5] البيضاوي 83/2. والكشاف 533/1.

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجاهِدُونَ) 95النساء على الحال أَوِ الاستثناء. وبالجر على أنه صفة للمؤمنين أو بدل منه[1]. وعرض لقراءة الرفع والنصب فى «يُدْرِكْهُ»100النساء وكأنه قيل: وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ ... ثُمَّ فهو يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ والثاني تقدير: وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ ... ثُمَّ يُدْرِكَهُ الْمَوْتُ على إضمار أن, والثالث الجزم فيه وهو أحسنهم بالعطف على المجزوم؛ ولم يهتم المفسر القرآني بإيضاح الأحسن من الوجوه حتى لا يخرج عن التفسير. ووقف على آية 52 المائدة (فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ ... وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا) وذكر قراءتي الرفع علي الاستئناف والنصب بالعطف علي أن يأتي ثم قال: أو يجعله بدلاً من اسم الله تعالى داخلاً في اسم عسى مغنياً عن الخبر بما تضمنه من الحدث، أو على الفتح بمعنى عسى الله أن يأتي بالفتح وبقول المؤمنين[2].

وهذا كلام غير دقيق وطريق غير واضح وليست المسألة النحوية فى حاجة إليه؛ ولا أفهم منه شيئا. ووقف على قوله: (وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ ... وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ)71 المائدة وذكر قراءة النصب على إعمال أن والرفع على تقدير: وَحَسِبُوا أَنه لا تَكُونُ وأن وما دخلت عليه سادة مسد مفعوليه. وأعرب كثير بدلا من الضمير أو فاعل والواو علامة الجمع كقولهم: أكلوني البراغيث، ثم قال: أو خبر مبتدأ محذوف أي العمى والصم كثير منهم. وقيل مبتدأ والجملة قبله خبره وهو ضعيف لأن تقديم الخبر في مثله ممتنع[3]. وأقول: إن هذا مذهب غريب وإعمال عقلي زائد عن المطلوب لا يقبله أي سياق أو تقدير أو تركيب إذ لو أقدم البيضاوي على التقدير وصياغة عبارة فيهما لوقع الفساد.

ووقف[4] على قوله: (وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ) 95 المائدة وذكر آراء كثيرة أن تكون جزاءٌ بالرفع على تقدير: فواجبه جزاء يماثل ما قتل من النعم، وأن تكون على إضافة المصدر إلى المفعول وإقحام مثل والمعنى فعليه أن يجزى مثل ما قتل. وأن تقرأ «فَجَزَاءَ

[1] البيضاوي 92/2.
[2] البيضاوي 131/2.
[3] البيضاوي 137/2.
[4] البيضاوي 144/2.

مّثْلَ مَا قَتَلَ» ، بنصبهما على فليجز جزاء، أو فعليه أن يجزي جزاء يماثل ما قتل؛ أو فجزاؤه مثل ما قتل. وهذه كلها تقديرات نحوية بعضها مستحسن والآخر مكلف؛ لأنك حين تحشو كلمة داخل النظم القرآني تفسده.

وفى آية 137 الأنعام (زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلادِهِمْ شُرَكاؤُهُمْ) وقف البيضاوي عليها وذكر وجه القراءة المطردة وهى رفع الشركاء بزَيَّنَ. وذكر قراءة ابن عامر بنصب "أولادهم" وجر "شركائهم" ففصل بين المضاف والمضاف إليه بقوله "أولادهم" والتقدير فيه: قتلُ شركائِهِم أولادَهم وهو ضعيف في العربية معدود من الضرورات مؤيدا للمذهب البصرى الذى لا يجيزها ويذهبون فيها إلى وَهْيها وَوَهْم قارئها. وذكر قراءة تجيز جر الأولاد ورفع الشركاء بفعل مضمر دلَّ عليه زيَّن[1]. ووقف على قوله: (تَماماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ)154الأنعام وقال: قرئ «على الذين أحسنوا» أو «على الذي أحسن تبليغه» وهو أو «تماماً على ما أحسنه» وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي «على الذي هو أحسن» أو على الوجه الذي هو أحسن ما يكون عليه الكتب[2]. وهذه الوجوه تحتاج إلى وقفات.

ووقف على آية 186الأعراف (مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلا هادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ) وقال: وَنَذَرُهُمْ بالرفع على الاستئناف، وقرأ أبو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء لقوله مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ، وحمزة والكسائي به وبالجزم عطفاً على محل فَلا هادِيَ لَهُ، كأنه قيل: لا يهده أحد غيره وَيَذَرُهُمْ[3]. وهنا معنى الجزم صار واضحا. ووقف على (وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ) 81 هود ولاحظت مهارة حين استحسن وجه البدل من أحد بقوله: إنه الأولى والأفصح ثم علله وقاس عليه قوله تعالى: (مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ) ثم قال: ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعاً على قراءة الرفع[4]. ولم يبين قبحه ربما لأن تقديره سيكون غريبا لا يجوز. ووقف على آية1المؤمنون

---

[1] البيضاوي 184/2.

[2] البيضاوي 189/2.

[3] البيضاوي 44/3.

[4] البيضاوي 143/2.

(قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ) وكنت أظن أنه سيفصل ويبين معاني ما عرض, لما فيها من غرابة ولكنه تجاوزها يقول: وقرأ ورش عن نافع قَدْ أَفْلَحَ بإلقاء حركة الهمزة على الدال وحذفها، وقرئ «أفلحوا» على لغة: أكلوني البراغيث، أو على الإبهام والتفسير، و «أَفْلَحَ» بالضم اجتزاء بالضمة عن الواو و «أَفْلَحَ» على البناء للمفعول[1].

وأقول: ما الإبهام والتفسير الذي يقصده البيضاوي؟. ووقف على (إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ) 33 العنكبوت وقال: موضع الكاف الجر على المختار ونصب أَهْلَكَ بإضمار فعل أو بالعطف على محلها باعتبار الأصل[2]. وأقول: كيف أجاز عطف الظاهر على المضمر وهو بصري؟ وما اعتبار الأصل الذي يزعمه؟. ووقف على 30 يس (يا حَسْرَةً عَلَى الْعِبادِ) وقال: ويجوز أن يكون تحسراً من الله عليهم على سبيل الاستعارة لتعظيم ما جَنَوه على أنفسهم ويؤيده قراءة يا حَسْرَتَىْ ونصبها لطولها بالجار المتعلق بها، وقيل بإضمار فعلها والمنادى محذوف، وقرئ «يا حسرة العباد» بالإضافة إلى الفاعل أو المفعول، و «يا حسرة» بالهاء على العباد بإجراء الوصل مجرى الوقف.267/4 وأقول: إنه قد خلط بين كون يا حسْرَتَا قراءة وبين كون يا حَسْرَتَىْ معنى لها فبدل بينهن3. وأعربها إعرابا غريبا يحتاج إلى توضيح. ووقف البيضاوي عند قوله: (إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ ... أَوْ يُوبِقْهُنَّ ... وَيَعْفُ ... وَيَعْلَمَ)34 الشورى وقرئ «ويعفو» على الاستئناف. وقال: وَيَعْلَمَ عطف على علة مقدرة مثل لينتقم منهم وَيَعْلَمَ، أو على الجزاء ونصب نصب الواقع جواباً للأشياء الستة لأنه أيضاً غير واجب، وقرأ نافع وابن عامر بالرفع على الاستئناف، وقرئ بالجزم عطفاً على يَعْفُ فيكون المعنى ويجمع بين إهلاك قوم وإنجاء قوم وتحذير آخرين[4]. وأقول: ما العلة المقدرة هنا؟ وما هذا الكلام!؟ إنه تكلف واضح يعمل على بلبلت أفكار الدارسين بدون قصد ويبعد عن الاعتدال المنشود والقاعدة المألوفة وانتحاء طرق ملتوية لا تخدم النحو ولا ترغب فيه. وبعد مضي ثلاث آيات أجاز البيضاوي

---

[1] البيضاوي 82/4.

[2] البيضاوي 194/4.

[3] الكشاف 13/4. والبيضاوي 267/4.

[4] البيضاوي 82/5.

عطف كل على الساعة من قوله: (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ... وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ) 3القمر في قراءة شاذة1. وإذا نظرنا إلي المقدر رأينا فيه تناقضاً، لأن الحقيقة المؤكدة عكس ما قال تماماً، وإذا نظرنا إلي الإعراب رفضناه جملة، وقد أنكره أبو حيان بقوله : (وهذا بعيد لطول الفصل بجمل ثلاث، وبعيد أن يوجد مثل هذا التركيب في كلام العرب نحو : أكلت خبزاً، وضربت زيداً، وأن يجيء زيد أكرمه، رحل إلي بنى فلان ولحماً، فيكون(ولحماً) معطوفاً علي (خبز) بل لا يوجد مثله في كلام العرب)2 والمعنى برفع مستقر واضح، إذ كل أمر لابد أن يصير إلي غاية يستقر عليها، وأن الدعوة الإسلامية ستصير إلي غاية يتبين عندها أنها حق، وليست باطلاً ، ولكن نمط قراءة أبي جعفر يحتاج إلي تقدير خبر حتى يتم المعنى كأن تقول: وكل أمر مستقر سوف يتضح حاله وينكشف.

[1] البيضاوي 164/5.

2 البحر المحيط **174/8**.

المبحث الثّاني: المَنَاهِجُ الأُصُوْلِيَّة: كـالتَّأويل

وهو منهج قديم يصرف الكلام عن ظاهره إلى وجوه خفية تحتاج إلى تقدير حسن وتدبر صحيح حتى يتواءم بمعناه مع قواعد النحو وقوانينه؛ غير أنه دائما يخص المعاني والجمل، أمّا التفسير فهو يخصّ الألفاظ والمفردات. ولهذا تدور تأويلات النحويين واجتهاداتهم بحثا عن المعنى الخفي غالبا وفى فلكه بحيث لا يحدث مع أدائه خلل بالقاعدة. وكان البيضاوي فى حاجة إلى ذكره لأن مسائل النحو وقضاياه تكاد تكون كلها ناشئة عن النص والنظم القرآني ولهذا كان ضروريا أن يعيد ما استقرأه واستنبطه من أفكار الأسلاف. وأود هنا أن أركز فقط على تأويل البيضاوي النحوي وتقديره نراه فى مواضع كثير لكنني سأقتصر على بعض منه عند قوله: (وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى)125 البقرة فقد ذهب إلى أنه اعتراض معطوف على مضمر تقديره توبوا إليه واتخذوا[1]. وذهب إلى أن المعنى فى قوله: (كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ) 180البقرة على تأويل[2] أن يوصي الوصية

[1] البيضاوي 104/1.

[2] البيضاوي 123/1.

فتكون فاعلا بفعل مقدر. وذهب إلى أن التأويل[1] فى قوله: (كَذِكْرِكُمْ آباءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً)200البقرة يكون على معنى كذكر قوم أشد منكم ذكراً...أو كذكركم أشد مذكورية من آباءكم... أو كونوا أشد ذكراً لله منكم لآبائكم. وأجاز أن يكون المعنى فى قوله: (وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) 217 البقرة على إرادة المضاف أي وصد المسجد الحرام كقول أبي دؤاد:

أكلّ امرئ تحسبين امرأ ... ونار توقد بِاللَّيْلِ نَارا[2]

وذهب إلى أن الكاف فى قوله: (مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ)219 البقرة في موضع النصب صفة لمصدر محذوف أي تبييناً مثل هذا التبيين[3]. وذهب إلى أن المعنى فى قوله: (وَلكِنْ لاَّ تُواعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلاَّ أَنْ تَقُولُوا قَوْلاً) 235البقرة يكون: لا تواعدوهن مواعدة إلا مواعدة معروفة، أو إلا مواعدة بقول معروف[4]. ووقف على قوله: (وَأَصابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفاءُ فَأَصابَها إِعْصارٌ فِيهِ نارٌ) 266 البقرة وقال: كأنه قيل: أيود أحدكم لو كانت له جنة وأصابه الكبر[5]. وحمل قوله: (أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ) 83 آل عمران على محذوف تقديره أتتولون فغير دين الله تبغون[6].

وحمل قوله: (فَواحِدَةً) 3 النساء فاختاروا أو فانكحوا واحدة وذروا الجمع. وبالرفع على أنه فاعل محذوف أو خبره تقديره فتكفيكم واحدة، أو فالمقنع واحدة[7]. وحمل قوله: (أُولئِكَ هُمُ الْكافِرُونَ حَقًّا) 151النساء على معنى: هم الذين كفروا كفراً حقاً أي يقيناً محققاً[8]. ووقف على قوله: (قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ)73 الأنعام وقال تكون على معنى: قوله الحق يوم يقول، أو حين يقول لقوله الحق أي لقضائه كن فيكون[9]. وقدر أن يكون المعنى فى قوله:

---

[1] البيضاوي 132/1.
[2] البيضاوي 137/1.
[3] البيضاوي 138/1.
[4] البيضاوي 146/1.
[5] البيضاوي 159/1.
[6] البيضاوي 26/2.
[7] البيضاوي 59/2.
[8] البيضاوي 105/2.
[9] البيضاوي 168/2.

(فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ)71 يونس على: فأعزموا عليه مع شُرَكائِكُمْ مع أمر شركائكم[1]. عند آية 46 هود (إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صالِحٍ) قال: أصله إنه ذو عمل فاسد فجعل ذاته ذات العمل للمبالغة وقيل هو على معنى إنه عمل عملاً غير صالح [2].

ومثل ذلك عند قوله: (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً) 67 النحل حمله على معنى وَمِن ثمرات النخيل والأعناب ثمر تتخذون منه[3]. وجوز أن يكون المعنى فى قوله: (أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمنِ وَلَداً)91 مريم الموجب لذلك أَنْ دَعَوْا، أو فاعل هَدَّا أي هدها دعاء الولد للرحمن[4] . وكذلك جوز أن يكون المعنى فى قوله: (مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْراهِيمَ) 78 الحج وسع دينكم توسعة ملة أبيكم[5]. وجوز أن يكون المعنى فى قوله: (أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُراباً)35 المؤمنون على: أنكم إخراجكم إذا متم، أو إنكم إذا متم وقع إخراجكم[6] .

وقدر المعنى فى قوله: (وَمِنْ آياتِهِ يُرِيكُمُ) 24 الروم أن يكون آية يريكم بها البرق كقوله: فَمَا الدَّهْرُ إِلاَّ تَارَتَانِ فَمِنْهُمَا ... أَمُوتُ [7]. وأوَّل آية 10سبأ (وَلَقَدْ آتَيْنا داوُدَ مِنَّا فَضْلاً يا جِبالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ) بقوله: ولقد آتينا داود منا فضلاً تأويب الجبال والطير[8]. وأوَّل قوله: (أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحاً) 5 الزخرف بقوله: أنهملكم فنضرب عَنْكُمُ الذِّكْرَ[9]. وحمل قوله: (وَقِيلِهِ يا رَبِّ إِنَّ هؤُلاءِ قَوْمٌ) 88 الزخرف على معنى: وقال قِيلِهِ أو وَقِيلِهِ يا رَبِّ قسمي، وإِنَّ هؤُلاءِ جوابه10. وأقول : ليس الغرض بيان الكثير من المسائل بقدر ما هو بيان لفلسفة التعامل مع اللغة التى لا تخضع إلا لفكر الإنسان وقياساته ، فهو يحاول دائما أن يفهم اللغة على النحو الذي يرضيه ، فيفسر ما يفسر ويؤول ما يؤول وفى النهاية تبقى

---

[1] البيضاوي 119/3.
[2] البيضاوي 136/3.
[3] البيضاوي 232/3.
[4] البيضاوي 40/4.
[5] البيضاوي 80/4.
[6] البيضاوي 87/4.
[7] البيضاوي 205/4.
[8] البيضاوي 243/4.
[9] البيضاوي 86/5.
[10] البيضاوي 98/5.

النصوص حيَّة لتكون معينا رائقا للآخرين يستخدمونها ويستقون منها كيفما شاءوا وقد ذهب البيضاوي هذا المذهب لاستحالة الأخذ بظاهر اللغة. لذا استحق التأويل أن يلتفت إليه حتى ولو بشيء قليل من الدارسة والإفراد، إذ هو منهج قديم تمت دراسته بأشكاله المتعددة في جميع المصادر التي تأويه.

والتَّضْمِين: منهج نحوى، اهتم به النحويون القدماء اهتماما خاصا، إذ اعتبروه آلة من آلات التعامل مع اللغة، كما هو آلة البيضاوي في التعامل مع ألفاظ القرآن ونصوصه وتفسيره فالفعل فيه ينقل من درجة إلى درجة ومن معنى إلى آخر من ذلك أنه ضمن جاعل في قوله: (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً)30 البقرة معنى خالق[1]. وضمن يضاعف في (فَيُضاعِفَهُ لَهُ أَضْعافاً كَثِيرَةً) 245البقرة معنى التصيير[2]. وضمن المسح في (وَامْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ) 6المائدة معنى الإلصاق فكأنه قيل: وألصقوا المسح برءوسكم[3]. وضمن يجرم في قوله: (وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلى أَلاَّ تَعْدِلُوا) 8 المائدة معنى يحمل، وكأنه قيل: ولا يحملنكم شدة بغضكم للمشركين على ترك العدل فيهم فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل[4] . وضمن السماع في قوله: (سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ)42 المائدة معنى القبول أي قابلون لما تفتريه الأحبار[5]. وضمن عجل في قوله: (أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ) 150الأعراف معنى سبق فعدى تعديته[6]. وضمن قطَّع من قوله: (وَقَطَّعْناهُمُ)160 الأعراف معنى صيرناهم قطعاً متميزاً بعضهم عن بعض[7]. كما ضمن يغشي من قوله: (يُغَشِّيكُمُ النُّعاسَ)11 التوبة معنى تنعسون[8]. ووقف على قوله: (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا) 25 الأنفال وذهب إلى أن لاَّ تُصِيبَنَّ

[1] البيضاوي 67/1.
[2] البيضاوي 149/1.
[3] البيضاوي 116/2 و117.
[4] البيضاوي 117/2.
[5] البيضاوي 126/2.
[6] البيضاوي 35/3.
[7] البيضاوي 38/3.
[8] البيضاوي 3/ 52.

متضمن معنى النهي رغم وجود النون المؤكدة فيه[1] كما ضمن (اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ)39 التوبة معنى الإخلاد والميل فعدى بإلى[2].

وضمن (يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ)35 يونس معنى الانتهاء قال: يعدى باللام للدلالة على أن المنتهي غاية الهداية وأنها لم تتوجه نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك عدى بها ما أسند إلى الله تعالى[3].

وذهب إلي أن كاد فى قوله: (فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً) 5 يوسف قد عديت باللام وهو متعد بنفسه لتضمنه معنى فعل يعدى به تأكيداً ولذلك أكد بالمصدر وعلله بقوله: إِنَّ الشَّيْطانَ لِلْإِنْسانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ظاهر العداوة لما فعل بآدم عليه السلام وحواء فلا يألوا جهداً في تسويلهم وإثارة الحسد فيهم حتى يحملهم على الكيد[4]. وفى قوله: (إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيا تَعْبُرُونَ) 43 يوسف جوَّز أن تضمن تَعْبُرُونَ معنى فعل يعدى باللام كأنه قيل: إن كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا[5]. وحمل تهوى من (تَهْوِي إِلَيْهِمْ)37 الحج على معنى النزوع أي: تنزع إليهم[6].

وعلق قدَّر من قوله: (قَدَّرْنا إِنَّها لَمِنَ الْغابِرِينَ)60 الحجر وضمنها معنى فعل يعلق مثل[7] علم وكأنه قيل: علمنا إنها لمن الغابرين. وضمن الجحود معنى الكفر فى قوله: (أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ)71 النحل بدليل وجود الباء[8] . وضمن تعد من قوله: (وَلا تَعْدُ عَيْناكَ عَنْهُمْ)28 الكهف معنى نبا[9] .أي تبعد عيناك عنهم. وفى (فَإِنَّما يَسَّرْناهُ بِلِسانِكَ)97 مريم قال البيضاوي: والباء بمعنى على أو على أصله لتضمن يَسَّرْناهُ معنى أنزلناه أي أنزلناه بلغتك[10].

وفي (سَنُعِيدُها سِيرَتَهَا الْأُولى)21 طه قال: انتصابها على نزع الخافض أو على أن أعاد منقول من عاده بمعنى عاد إليه، أو على الظرف أي سنعيدها في طريقتها أو على تقدير

---

[1] البيضاوي 55/3.

[2] البيضاوي 81/3.

[3] البيضاوي 112/3.

[4] البيضاوي 155/3.

[5] البيضاوي 165/3.

[6] البيضاوي 201/3.

[7] البيضاوي 214/3.

[8] البيضاوي 234/3.

[9] البيضاوي 279/3.

[10] البيضاوي 21/4.

فعلها أي سنعيد العصا بعد ذهابها تسير سيرتها الأولى فتنتفع بها ما كنت تنتفع قبل[1]. وفي (قالَ آمَنْتُمْ لَهُ)71 طه أي لموسى قال: واللام لتضمن الفعل معنى الاتباع[2].

وفي (مَا مَتَّعْنا بِهِ أَزْواجاً) 131طه أجاز البيضاوي أن تكون مضمنه معنى أعطينا[3]. وقال إن اللام في قوله: (يَدْعُوا لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ)13 الحج معلقة لـ يَدْعُوا من حيث إنه بمعنى يزعم والزعم قول مع اعتقاد[4]. وقال: (لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلى مَا هَداكُمْ) 37 الحج على جواز أن تكون لِتُكَبِّرُوا متضمنة معنى الشكر[5]. وقد تعدى (وَلا يُجارُ عَلَيْهِ) 88 المؤمنون بعلى لتضمين معنى النصرة[6]. وفى (عَسى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ)71 النمل قال: واللام مزيدة للتأكيد أو الفعل مضمن معنى فعل يتعدى باللام مثل دنا[7]. وفي (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ أَنْ يَسْبِقُونا)4 العنكبوت قال: ويجوز أن يضمن حَسِبَ معنى قدر[8]. وفي (تُظاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهاتِكُمْ)4الأحزاب ذهب إلي أن تُظاهَرُونَ بمعنى ظاهر، كعقد بمعنى عاقد مأخوذ من الظهر باعتبار اللفظ كالتلبية من لبيك وتعديته بمن لتضمنه معنى التجنب[9] . وعدَّى يجزون من قوله: (هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كانُوا يَعْمَلُونَ) 33سبأ لتضمينه معنى يقضي[10] .

وفى قوله: (لاَّ يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلى) 8الصافات قال: وتعدية السماع بإلي لتضمنه معنى الإصغاء مبالغة لنفيه وتهويلاً لما يمنعهم عنه[11]. وفي قوله: (وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ) 25الشورى قال: بالتجاوز عما تابوا عنه، والقبول يعدى إلى مفعول ثان بمن وعن لتضمنه

---

[1] البيضاوي 25/4.
[2] البيضاوي 33/4.
[3] البيضاوي 43/4.
[4] البيضاوي 67/4.
[5] البيضاوي 72/4.
[6] البيضاوي 94/4.
[7] البيضاوي 166/1.
[8] البيضاوي 188/4.
[9] البيضاوي 224/4.
[10] البيضاوي 248/4.
[11] البيضاوي 6/5.

معنى الأخذ والإبانة، وقد عرفت حقيقة التوبة1. وحمل (مَنْ أَنْصارِي إِلَى اللَّهِ) 52 آل عمران على معنى ملتجئاً إلى الله تعالى أو ذاهباً أو ضاماً إليه، أو من الذين يضيفون أنفسهم إلى الله تعالى فى نصري[2]. وحمل (فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا) 4النساء على معنى التجافي والتجاوز[3]. وعدى رأى فى (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً) 44النساء بإلي لتضمنه معنى الانتهاء[4]. وحمل قوله: (أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) 54المائدة على معنى العطف والحنو[5] . وأما كَرَّهَ من قوله: (وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ) 7الحجرات فيتعدى بنفسه إلى مفعول واحد فإذا شدد زاد له آخر، لكنه لما تضمن معنى التبغيض نزل كره منزلة بغض فعدي إلى آخر بإلي، أو نزل إليكم منزلة مفعول آخر[6]. وقال: (أَفَتُمارُونَهُ عَلى مَا يَرى) 12النجم على تضمين الفعل معنى الغلبة[7].

والتَّوَهُّم: بالنظر والدراسة ثبت أن التوهم منهج فلسفي من مناهج التأويل يهدف إلى معالجة قضايا اللغة وتفسيرها وتحديد قواعدها من التراكيب اللغوية؛ وقد عالج النحاة كثيرًا منها فى نطاق هذا الفكر منذ تقعيد النحو وتدوينه. وليس بجديد فقد حظيت به أبواب النحو، وكثرت مسائله هنا وهناك ثم تولد بالقياس عبر العصور، ومسائله تتنوع وتخلل فى القرآن والشعر والنثر على السواء. وهو تخيل وظن وتمثيل وتلك عملية عقلية تصورية تقديرية اجتهادية مستفادة، ترجع إلى التأثير والتأثر الذى وقع بين العلوم ، لأن إجراء القول على مسألة ما بالتوهم يرجع إلى تقدير النحوي ومرونته فى فهمه للغة، وكيف يصل بها إلى إبراز المعاني الدقيقة من وراء تراكيبها ونظمها !؟ والنحوي وهو يفسر اللغة المطردة والشاذة، لا يتقيد بأغلال القاعدة التى تتصف بالجمود والجفاء ، والدليل على ذلك الجدل والخلاف الذى ظل قائماً بين النحويين تعبيرًا عن الذاتية لدى كل نحوي، فإننا لا نجد مماثلة صادقة بين

[1] البيضاوي 81/5.
[2] البيضاوي 19/2.
[3] البيضاوي 60/2.
[4] البيضاوي 76/2.
[5] البيضاوي 132/2.
[6] البيضاوي 135/5.
[7] البيضاوي 158/5.

مذاهب النحاة حتى بين علماء المدرسة الواحدة. إذن فالنحوي حينما يشحذ عقله فى التعامل مع اللغة ونظمها يشرح ويحلل ويدلل ويقيس ويعالج ويميز المناهج والأصول فى ضوء القاعدة الموضوعة لا يعنى هذا جمودًا وتقييدًا بقدر ما يكون عملية ضبطية للغة توفيقية وتنظيمية لها حتى تستمر وتبقى بقاء دون أن تتآكل. ولم يسمه البيضاوي توهُّما بل سمَّاه العطف علي الموضع أو المحلِّ. أشار عبر تفسيره إلي مسائله إشارة، وأشهر مسألة فيه هي قوله ﷻ : (فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ)10المنافقون وكل المعالجات اللغوية التي وقف عليها النحاة قرآنية أو شعرية كانت مقيسة عليها وما ذكره البيضاوي من وجوه فيها ليس بجديد خرجها كلُّ المفسرين قال: وجزم أَكُنْ للعطف على موضع الفاء وما بعده. ثم قال: وقرأ أبو عمرو «وأكون» منصوباً عطفاً على «فأصدق»، وقرئ بالرفع على: وأنا أكون فيكون عدة بالصلاح[1]. ذكر ثلاثة أوجه وهي التي تقال فى الغالب, ثم قاس عليها قوله: (رَبَّنا أَخِّرْنا إِلى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ) 44إبراهيم وجاء قياسه غير دقيق لأن آية إبراهيم ليس فيها توهم أو مشابهة وكل ما هنالك أن نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ جواب للأمر[2] وليست نظيرا لآية المنافقون. وقاس عليها قراءة الجزم في ويذرك من قوله: (أَتَذَرُ مُوسى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ) 127 الأعراف علي توهم سقوط اللام من ليفسدوا كأنه قيل: يفسدوا ويذرك[3]. وقاس[4] عليها أيضا آية4 الشعراء: (إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّماءِ آيَةً فَظَلَّتْ)4 الشعراء وقياسه هنا صحيح فظلت معطوفة على توهم وجود فعل ماض وكأنه قيل: إن نشأ نزَّلنا فظلت. وأشار إلى التوهم عند قوله: (لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ ... وَقُولُوا) 83البقرة فعطف قولوا على إرادة أن قال: «لا تعبدوا» ويعضده قراءة: «لا تعبدوا» كقوله: أَحضُرَ الوَغَى ... وأَنْ أَشَهدَ اللذاتِ[5]. وأشار إليه أيضا عند قوله: (أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ) 64 الزمر ويجوز أن ينتصب غير بما دل عليه تَأْمُرُونِّ أَنْ أَعْبُدَ لأنه بمعنى تعبدونني على أن

[1] البيضاوي 216/5.
[2] البيضاوي 202/3.
[3] البيضاوي 29/3.
[4] البيضاوي 133/4.
[5] البيضاوي 91/1.

أصله تأمرونني أن أعبد فحذف إن ورفع كقوله: أَلا أَيّهذا الزَّاجِرِي أحضر الوغى ويؤيده قراءة أَعْبُدُ بالنصب[1].

والتَّوَسُّع: منهج فى النحو العربي، والأخذ به وتقديره تأويل، ألا ترى أنك إذ تقدر فى الجملة زيادة أو حذفًا فأنت تجرى تغييرًا فى المركبات اللغوية، وأيُّ تغيير فى الجملة بالزيادة أو بالحذف تأويل. وقد أجرى هذا المنهج على اللغة كما أجرى غيره عليها، ويكون الحذف اسما وفعلا وحرفًا على السواء، وكثيرًا ما يكون الحذف هاهنا حرفًا مع الفعل اللازم، لأن الفعل اللازم لا يتعدى إلاّ بالجار أو بغيره، فكون الجار يحذف ليتعدى اللازم إلى المفعول فيشابه غيره فى التعدي والقوة أو أن يعمل متعدٍّ إلى واحد عمل متعدٍّ إلى اثنين إنما هو ضرب من التغيير، وهذا التغيير هو فى حقيقة الأمر ضرب من التأويل. ولم يهتم به البيضاوي فى تفسيره رغم مسائله الكثيرة بالوجه الكافي ولا أدري, ورغم أن جلَّ المادة النحوية عنده ليست بجديدة ربما حرصا منه على الإيجاز والاختصار. وألا يخرج عن نطاق التفسير أو يغلب على تفسيره الجانب النحوي فعمل توازنا فى ذلك وهذ مبرر لقلة مسائله.

ويلاحظ التوسع فى قوله: (اهْدِنَا الصِّراطَ) 6 الفاتحة حين قال: والفعل منه هدى، وأصله أن يعدى باللام، أو إلى، فعومل معاملة اختار في قوله تعالى: وَاخْتارَ مُوسى قَوْمَهُ[2]. ويلاحظ أيضا عند قوله: (خَلَوْا إِلى شَياطِينِهِمْ) 14 البقرة حين قال: وعدي بإلي لتضمن معنى الإنهاء، وإضافتهم إليهم للمشاركة في الكفر[3]. وأشار إليه أيضا عند قوله: (وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيانِهِمْ) 15البقرة قال: أصله يمد لهم بمعنى يملي لهم ويمد في أعمارهم كي يتنبهوا ويطيعوا، فما زادوا إلا طغياناً وعمهاً، فحذفت اللام وعدى الفعل بنفسه كما في قوله تعالى: وَاخْتارَ مُوسى قَوْمَهُ[4]. ووقف على قوله: (تَطَوَّعَ خَيْرًا) 158البقرة وأجاز أن تكون خَيْراً نصب على أنه صفة مصدر محذوف، أو بحذف الجار وإيصال الفعل إليه، أو بتعدية الفعل لتضمنه معنى

[1] البيضاوي 48/5.
[2] البيضاوي 30/1.
[3] البيضاوي 38/1.
[4] البيضاوي 48/1.

أتى أو فعل[1]. ووقف على قوله: (فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ) 178البقرة ثم قال: لم يثبت عفا الشيء بمعنى تركه بل أعفاه. وعفا يعدى بعن إلى الجاني وإلى الذنب، قال الله تعالى عَفَا اللَّهُ عَنْكَ وقال عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ. فإذا عدي به إلى الذنب عدي إلى الجاني باللام وعليه ما في الآية كأنه قيل: فمن عفي له عن جنايته[2]. ووقف على قوله: (وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ)185البقرة وقال: والمعنى بالتكبير تعظيم الله بالحمد والثناء عليه، ولذلك عدى بعلى[3]. وأشار إليه عند قوله: (لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِراطَكَ) 16الأعراف حين قال: ونصبه على الظرف كقوله: كَمَا عَسَلَ الطَّرِيقَ الثَّعْلَبُ. وأجاز أن يكون المعنى: على صراطك[4]. وذهب إلى أن المعنى في قوله: (ذلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ)65 هود على تقدير: غير مكذوب فيه فاتسع فيه بإجرائه مجرى المفعول به كقوله: وَيَوْمَ شَهِدْنَاهُ سُلِيمَاً وَعَامِراً[5] . وكذلك قوله: (وَذلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ)103 هود ذهب إلى أن معناه: مشهود فيه أهل السموات والأرضين فاتسع فيه بإجراء الظرف مجرى المفعول به كقوله: في مَحفَلٍ مِنْ نَوَاصِي النَّاس مَشْهُود، أي كثير شاهدوه[6].

وذهب إلى التوسع أيضا في قوله: (ويَبْغُونَها عِوَجاً) 3 إبراهيم إذ قدَّر حذف الجار وأوصل الفعل إلى الضمير[7] . وقدَّر حذف الجار على التوسع في (خَلَقْتَ طِيناً) 61 الأعراف حين قال: لمن خلقته من طين، فنصب بنزع الخافض[8]. وقدَّره عند قوله: (وَقُرْآناً فَرَقْناهُ) 106الكهف حين قال: فرقنا فيه الحق من الباطل فحذف الجار كما في قوله: ويوماً شهدناه[9]. ووقف عند قوله: (بَطِرَتْ مَعِيشَتَها) 58 القصص ثم قال: وانتصاب مَعِيشَتَها بنزع

---

[1] البيضاوي 115/1.
[2] البيضاوي 125/1.
[3] البيضاوي 125/1.
[4] البيضاوي 7/3.
[5] البيضاوي 140/3.
[6] البيضاوي 148/3.
[7] البيضاوي 192/3.
[8] البيضاوي 260/3.
[9] البيضاوي 269/3.

الخافض أو بجعلها ظرفاً بنفسها كقولك: زيد ظني مقيم، أو بإضمار زمان مضاف إليها أو مفعولاً على تضمين بطرت معنى كفرت[1]. وأما آية 33سبأ (بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ) فعلى تقدير بل مكر فى الليل ومكر فى النهار ولكنه اتسع فحذف وأضاف المِكْر إلى الظرف[2] . وأما (فَاسْتَبَقُوا الصِّراطَ)66 يس فقال فيه: وانتصابه بنزع الخافض أو بتضمين الاستباق معنى الابتدار، أو جعل المسبوق إليه مسبوقاً على الاتساع أو بالظرف[3].

وفى آية (إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي)32 ص قال: أصل أَحْبَبْتُ أن يعدى بعلى لأنه بمعنى آثرت لكن لما أنيب مناب أنبت عدي تعديته، وقيل هو بمعنى تقاعدت من قوله: مِثْلُ بَعِيرِ السُّوءِ إِذَا أَحَبَّا، أي برك[4]. وفسر قوله: (مَا تَرْكَبُونَ) 12 الزخرف بقوله: ما تركبونه على تغليب المتعدي بنفسه على المتعدي بغيره إذ يقال: ركبت الدابة وركبت في السفينة[5]. والبخل يعدَّى بعن وعلى كما فى قوله: (فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ)38 محمد ولكنه ذهب إلى تضمينه معنى الإمساك فإنه إمساك عن مستحق[6]. وقد أسند الظرف فى قوله: (لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ)94الأنعام إلي الفعل اتساعاً والمعنى: وقع التقطع بينكم، ويشهد له قراءة النصب على إضمار الفاعل لدلالة ما قبله عليه[7]. وذهب إلي أن قوله: (لاَّ تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ)17 الحجرات علي معنى: بإسلامكم، فنصب بنزع الخافض أو تضمين الفعل معنى الاعتدال[8].

<u>والحَمْلِ على المَعْنَى أو المَحَلِّ</u>: وأنا لا أتردد لحظة وأنا أرصد التفكير النحوي عند البيضاوي فى القول بأن الحمل على المعنى من أدق مظاهر التأويل وأشملها على الإطلاق ، لأن المعنى الحقيقي لأى نظم لغوى أو تركيب غالبا ما يخالف الصورة الظاهرة التى عليها التركيب نفسه، ولأن المعنى فى كل حال يرجع إلى قدرة كل مقدر، ومدى إحساسه باللغة،

---

[1] البيضاوي 182/4.
[2] البيضاوي 248/4.
[3] البيضاوي 272/4.
[4] البيضاوي 29/5.
[5] البيضاوي 87/5.
[6] البيضاوي 125/5.
[7] البيضاوي 173/2.
[8] البيضاوي 138/5.

وتذوقه لها، واستطاعته فى إبراز معانيها الحقيقية المكتنَّة فى غياهب التراكيب. ألا ترى أن فى هذا المنهج يتمايز النحاة والمفسرون، وتظهر بينهم القدرات والفروق، لأن كشف المعنى يتوقف عليهم، ولأن وجوه التأويل الأخرى التي نوقشت ومرَّت تدخل فيه، ألا ترى أنك فى كل موضع تقول: إنه أراد كذا، أو إنه يكون على معنى كذا أو حمل على معنى كذا. وفكرت كثيرا فيما ذهب إليه فى قوله: (فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْداداً)22البقرة ولم تتضح بعد المعاني التي يريد أن يوصلها لما فيها من غموض واقرأ معي ولاحظ ما قال هو متعلق باعبدوا على أنه نهي معطوف عليه. أو نفي منصوب بإضمار أن جواب له. أو بلعل على أن نصب تجعلوا نصب فاطلع في قوله تعالى: لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبابَ أَسْبابَ السَّماواتِ فَأَطَّلِعَ إلحاقاً لها بالأشياء الستة لاشتراكها في أنها غير موجبة، والمعنى: إن تتقوا لا تجعلوا لله أنداداً، أو بالذي جعل، إن استأنفت به على أنه نهي وقع خبراً على تأويل مقول فيه: لا تجعلوا، والفاء للسببية أدخلت عليه لتضمن المبتدأ معنى الشرط[1]. فالنهي واضح وتقدير النصب بأن ولعلَّ غير واضح أضف أن قوله: إن تتقوا لا تجعلوا ...إلخ معنى جميل لكنه خارج نطاق التركيب القرآني ونهاية كلامه فيه غموض. وانظر إلى تقدير الحذف والمعنى فى قوله: (وَما هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذابِ أَنْ يُعَمَّرَ)96 البقرة حين قال: وما أحدهم بمن يزحزحه من العذاب تعميره[2].

انظر ماذا قال البيضاوي فى قوله: (أُولئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) 161البقرة قال: وقرئ و «الملائكةُ والناسُ أجمعون» عطفاً على محل اسم الله لأنه فاعل في المعنى، كقولك أعجبني ضرب زيدٍ وعمرو، أو فاعلاً لفعل مقدر نحو وتلعنهم الملائكة[3]. وحمل قوله: (وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً)165البقرة علي: لو يعلمون أن القوة لله جميعاً إذا عاينوا العذاب لندموا أشد الندم. وأجاز أن يكون علي: ولو يرى الذين ظلموا أندادهم لا تنفع، لعلموا أن القوة لله كلها لا ينفع ولا يضر غيره[4].

وما زلت أذكر وأقول إن فى كل موضع يحدث فيه تقدير للمعنى قد يكون وجها من وجوه التأويل السالفة، لكن هذا المصطلح لم يبرز بالصورة التي كنت أتوقعها رغم تأثر البيضاوي

---

[1] البيضاوي 56/1.

[2] البيضاوي 95/1.

[3] البيضاوي 116/1

[4] البيضاوي 117/1.

الكبير بالزمخشري فقد ذهب في قوله: (وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ)177 البقرة إلى أن معناه ولكن البر الذي ينبغي أن يهتم به بر من آمن بالله، أو لكن ذا البر من آمن1. وحمل قوله: (يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ)77آل عمران على معنى: يخشون الناس مثل أهل خشية الله منه[2]. وفى قوله: (فَآمِنُوا خَيْراً لَكُمْ) 170النساء حمله على معنى فآمنوا إيماناً خيراً لكم وأجاز أن يكون على معنى ائتوا أمراً خيراً لَّكُمْ مما أنتم عليه. وأجاز أن يكون على معنى يكن الإيمان خيراً لكم ثم قال: ومنعه البصريون لأن كان لا يحذف مع اسمه إلا فيما لا بد منه, ولأنه يؤدي إلى حذف الشرط وجوابه3. وعلل تذكير قريب من قوله: (إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ) 56 الأعراف بقوله: لأن الرحمة بمعنى الرحم، أو لأنه صفة محذوف أي أمر قريب، أو على تشبيهه بفعيل الذي هو بمعنى مفعول، أو الذي هو مصدر كالنقيض، أو الفرق بين القريب من النسب والقريب من غيره4.

ووقف على قوله: (فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ)143الأعراف ثم قال: ظهر له عظمته وتصدى له اقتداره وأمره. وقيل أعطى له حياة ورؤية حتى رآه[5]. وهذا التأويل يتفق مع سنِّيته. وذهب إلى أن قوله: (وأشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم) 93 البقرة محمول على حب العجل وقد رسخ في قلوبهم صورته، لفرط شغفهم به، كما يتداخل الصبغ الثوب، والشراب أعماق البدن[6]. وهذه المعاني مأخوذة من الزمخشري إذ يستحيل أن يكون قد أشربوا فى قلوبهم العجل نفسه بكفرهم، لأنه لا يشرب، بل إن العجل في الحقيقة يؤكل، وإنما يلزم الحال ويقتضى أن تقدر مثل هذا التقدير، لأنه يتفق مع العقل، ولا يصح أخذ التركيب على ظاهره، كما قلت. وجوَّز فى وَرَسُوله من قوله: (أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ)3 التوبة أربعة أوجه: أن يكون عطفا على المستكن في بَرِيءٌ، أو على محل أَنَّ واسمها في قراءة من كسرها إجراء للأذان مجرى القول، وقرئ بالنصب عطفاً على اسم أَن أو لأن الواو بمعنى مع ولا تكرير

---

[1] البيضاوي 121/1.

[2] البيضاوي 85/2.

[3] البيضاوي 110/2.

[4] البيضاوي 16/3.

[5] البيضاوي 33/3.

[6] البيضاوي 94/1. الكشاف 166/1.

فيه[1]. وقدر حذفا فى قوله: (وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيها وَالْعِيرَ)82 يوسف والمعنى واسأل أهلها ... وأصحاب العير[2]. وهذا أمر طبيعي. وعند قوله: (وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنا قَلْبَهُ) 28 الكهف قال: جعلنا قلبه غافلاً3. قريب من معنى المعتزلة. أما قوله: (لَمْ يَكَدْ يَراها) 40 النور فقال: لَمْ يَكَدْ يَراها لم يقرب أن يراها فضلاً أن يراها كقول ذي الرمة:

إِذَا غَيَّرَ النَّأَي المحِبِّينَ لَمْ يَكد ... رَسِيسُ الهَوَى مِنْ حُبِّ مَيَّةَ يَبْرَحُ4

مطابق لما ذكره الزمخشري. وقدر حذفا للفاعل فى قوله: (يُسَبِّحُ لَهُ فِيها بِالْغُدُوِّ وَالْآصالِ رِجالٌ) 36 النور حين قال: ورفع رجال بما يدل عليه5. أما قوله: (وَيْكَأَنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْكافِرُونَ)82 القصص فعرض المعاني التي ذكرها الأوائل فيها قال: ووَيْكَأَنَّ عند البصريين مركب من «وي» للتعجب «وكأن» للتشبيه والمعنى: ما أشبه الأمر أَنَّ الله يَبْسُطُ الرزق. وقيل من «ويك» بمعنى ويلك و «أن» تقديره ويك اعلم أن الله[6]. لابد له أن يرجع إلى الفكر القديم الذي فصل فيها.

وحمل قوله: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)11الشورى على معنى ليس مثله شيء يزاوجه ويناسبه. ثم قال: والمراد من مثله ذاته كما في قولهم: مثلك لا يفعل كذا، على قصد المبالغة في نفيه عنه فإنه إذا نفى عمن يناسبه ويسد مسده كان نفيه عنه أولى ... ومن قال الكاف فيه زائدة لعله عنى أنه يعطى معنى لَّيْسَ مّثْلِهِ غير أنه آكدُ لما ذكرناه. وقيل «مثله» صفته أي ليس كصفته صفة7. وهذه تخريجات السابقين أيضا وذهب إلى أن المعنى فى قوله: (إِذِ الْأَغْلالُ فِي أَعْناقِهِمْ وَالسَّلاسِلُ يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ 71غافر فى قراءة جر السَّلاسِل قد حمل على معنى أعناقهم في الأغلال[8].على توهم وقوع الجر فيه. وقد ذكره الزمخشري أيضا. وقدَّر المعنى

---

[1] البيضاوي 71/3.

[2] البيضاوي 173/3.

[3] البيضاوي 279/3.

[4] البيضاوي 109/4.

[5] البيضاوي 108/4.

[6] البيضاوي 186/4.

[7] البيضاوي 78/5.

[8] البيضاوي 63/5.

فى قوله: (فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِداءً)4 محمد على: فإما تمنون منا أو تفدون فداء[1]. وذهب إلي أن آباؤُنَا في قوله: (أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ أَوَ آباؤُنَا الْأَوَّلُونَ)17الصافات بالرفع معطوفة على محل إِنْ واسمها، أو على الضمير في «مبعوثون» فإنه مفصول منه بهمزة الاستفهام[2]. وبعد مضي خمس آيات أجاز البيضاوي العطف بالنصب فى قوله: (وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ ... وَقَوْمَ نُوحٍ) 46 الذاريات علي أن يكون عطفاً على محل فِي عادٍ[3]. ولم يذكر كيف يكون المعنى والتقدير؟.

أما آية 22 الفجر (وَجاءَ رَبُّكَ) فقال: ظهرت آيات قدرته وآثار قهره مثل ذلك بما يظهر عند حضور السلطان من آثار هيبته وسياسته[4]. وهذا تخريج سيبويه والسابقين. وقد يبدو قولي على هذا المنهج قليلاً لا كثيرًا رغبة في الإيجاز، ولأن الهدف كما قلت: هو التنويه والإقرار بتأصيل التفكير النحوي عند البيضاوي, وقد ذكرت ما ذكرت راجيًا أن يكون دالاً ومفيدًا بدراسة آيات القرآن فى تفسيره وهو أفصح الكلام المنثور.

[1] البيضاوي 120/5.
[2] البيضاوي 7/5.
[3] البيضاوي 150/5.
[4] البيضاوي 311/5.

المبحث الثَّالث: الجمع بين الأضعف والأقوى:

عرض البيضاوي فى هذا المبحث مادة نحوية كانت موضع خلاف بين النحويين فى مسائل ومواقف, فيها ما هو قوي في نظر بعض وفيها ما هو ضعيف في نظر آخر وعلى كل هو يعرض ما يعرض ليبين لك أصالة التفكير النحوي عنده وأظن ظنا أنه يهدف إلي دعم شامل لمؤلفه حتى لا يفوت المسألة النحوية أو الموقف النحوي وجه محتمل في تفسيرها قد يرجع باحث أو ناشئ إليه أو عملية اكتمال جمال لتفسيره. ومن هذه المسائل مسألة العطف على الكاف فى قوله: (جاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِماماً قالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي) 124البقرة إذ ذهب مذهب الزمخشري فيها بقوله: وَمِنْ ذُرِّيَّتِي عطف على الكاف أي وبعض ذريتي، كما تقول: وزيداً، في جواب: سأكرمك[1]. وذهب العكبري وتبعه أبو حيان سيرا على المذهب البصري إلي القول بأنه لَا يَصِحِّ الْعَطْفُ عَلَى الْكَافِ، لِأَنَّهَا مَجْرُورَةٌ، فَالْعَطْفُ عَلَيْهَا لَا يَكُونُ إِلَّا بِإِعَادَةِ الْجَارِّ، ولم يعد، ... وَلَيْسَ نَظِيرَ: سَأُكْرِمُكَ، فَتَقُولُ: وَزَيْدًا لِأَنَّ الْكَافَ هُنَا فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ. وَالَّذِي يَقْتَضِيهِ الْمَعْنَى أَنْ يَكُونَ مِنْ ذُرِّيَّتِي مُتَعَلِّقًا بِمَحْذُوفٍ، التَّقْدِيرُ: وَاجْعَلْ مِنْ ذُرِّيَّتِي إِمَامًا[2].

ومسألة العطف على الضمير المخفوض[3] بدون إعادة الجار أجازه الكوفيون بأقيسة نقلية ومنعه البصريون بحجج عقلية وهو الأقوى. وأنا أعجب من البيضاوي فكيف يكون بصريا وهو يذهب مذهب الكوفيين في العطف على الضمير المجرور بدون إعادة الجار أهي ذاتية فى بعض المسائل واتباع فى البعض الآخر. ومن الشواهد التي ساقها الكوفيين ومن تبعهم لترجيح مذهبهم الشواهد التي ساقها البيضاوي هنا مثل قوله: (وَجَعَلْنا لَكُمْ فِيها مَعايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ

---

[1] البيضاوي 104/1 والكشاف 184/1.

[2] التبيان فى إعراب القرآن 112/1 والبحر المحيط 603/1.

[3] الإنصاف 379/2 وما بعدها.

لَهُ بِرازِقِينَ)20 الحجر وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرازِقِينَ عطف على مَعايِشَ أو على محل لَكُمْ، ويريد به العيال والخدم والمماليك وسائر ما يظنون أنهم يرزقونهم ظناً كاذباً، فإن الله يرزقهم وإياهم[1].

وزاد الزمخشري على ذلك التقدير والمعنى حين قال: كأنه قيل: وجعلنا لكم فيها معايش، وجعلنا لكم من لستم له برازقين، أو وجعلنا لكم معايش ولمن لستم له برازقين. ثم قال: ولا يجوز أن يكون مجرورا عطفاً على الضمير المجرور في لَكُمْ لأنه لا يعطف على الضمير المجرور[2].

وهذه المسألة كالسابقة ولكنني أردت أن أشير إلي اللبس والتضارب الذي وقع هنا في كلام البيضاوي والزمخشري فمرة يفاد أنه لا يجيز العطف على الضمير المجرور وأخرى يفاد أنه يجيز العطف قال: ولا يجوز أن يكون مجرورا عطفا على ...إلخ إما أن يكون قدَّر جارا محذوفا على تقدير : ولمن لستم له برازقين وأما أن يكون قد تناقض مع مذهبه وتبعه البيضاوي.

ويؤكد هذا التناقض أن البيضاوي أجاز على مذهب الزمخشري العطف على الضمير في قوله: (أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ) 20آل عمران بقوله: وَمَنِ اتَّبَعَنِ عطف على التاء في أسلمت وحسن للفصل. وأجاز العطف أيضا فى قوله: (لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهذَا النَّبِيُّ) 68 آل عمران على قراءة نصب النبي عطفاً على الهاء في اتبعوه. وأجاز العطف فى قوله: (كِتابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ ما وَراءَ ذلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا) 24النساء وَأُحِلَّ لَكُمْ عطف على الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله.

وأجاز العطف في قوله: (يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَما يُتْلى عَلَيْكُمْ) 127النساء حين قال: وَما يُتْلى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتابِ عطف على اسم الله تعالى، أو ضميره المستكن في يفتيكم وساغ للفصل فيكون الإفتاء مسنداً إلى الله سبحانه وتعالى وإلى ما في القرآن من قوله تعالى: يُوصِيكُمُ اللَّهُ ونحوه، والفعل الواحد ينسب إلى فاعلين مختلفين باعتبارين مختلفين، ونظيره أغناني زيد وعطاؤه، أو استئناف معترض لتعظيم المتلو عليهم على أن ما يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب خبره. والمراد به اللوح المحفوظ، ويجوز أن ينصب على معنى ويبين لكم ما يتلى عليكم أو

[1] البيضاوي 208/3 و209.

[2] الكشاف 574/2.

يخفض على القسم كأنه قيل: وأقسم بما يتلى عليكم في الكتاب، ولا يجوز عطفه على المجرور في فيهن لاختلاله لفظاً ومعنى[1].

وأجاز العطف على الضمير في قوله: (حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ) 64الأنفال قال: وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أما في محل النصب على المفعول معه كقوله:

إِذَا كَانت الهَيْجَاء وَاشْتَجَرَ القَنَا ... فَحَسْبُكَ وَالضَّحَّاكُ سَيْفٌ مُهَنَّد

أو الجر عطفاً على المكني عند الكوفيين، أو الرفع عطفاً على اسم الله تعالى أي كفاك الله والمؤمنون[2]. أما قوله: (تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةِ) 67الأنفال بجر الْآخِرَةِ على إضمار المضاف فقراءة ابن جماز كما قال ابن جني قراءة شاذة نادرة خرجها ابن جني قاسها على قوله:

أكلّ امرئ تحسبين امرأ ... ونار توقد بِاللَّيْلِ نَاراً[3]

وذكرت أن في معناها تكلف لأن الآخرة ليس فيها عرض إذ لا يقال: والله يريد عرض الآخرة. وأما قوله: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هادُوا وَالصَّابِئُونَ) 69المائدة فذكر البيضاوي فيها وجوها كثيرة منها الضعيف فى نظر البعض ومنها القوي فى نظر آخرين, ذكر مذهب سيبويه القائل[4]: والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التأخير عما في حيز إن والتقدير: إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك كقوله: فإنِّي وَقَيَّارٌ بها لَغَرِيبُ وقوله:

وَإِلا فَاعْلَمُوا أَنَّا وَأَنْتُم ... بُغَاةٌ مَا بَقينا فِي شِقَاق

أي فاعلموا أنا بغاة وأنتم كذلك. وذكر مذهب القائلين بالاستئناف أن يكون والنصارى معطوفاً عليه ومن آمن خبرهما وخبر إن مقدر دل عليه ما بعده وقاس عليه قوله:

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وَأَنْتَ بِمَا ... عِنْدَكَ رَاضٍ وَالرَّأْيُ مُخْتَلِفُ

ثم قال: ولا يجوز عطفه على محل إن واسمها فإنه مشروط بالفراغ من الخبر، إذ لو عطف عليه قبله كان الخبر خبر المبتدأ وخبر إن معاً فيجتمع عليه عاملان ولا على الضمير في هادوا لعدم التأكيد والفصل، ولأنه يوجب كون الصابئين هوداً. وقيل إن بمعنى نعم وما بعدها في موضع

---

[1] البيضاوي 100/2.

[2] البيضاوي 66/3.

[3] البيضاوي 67/3.

[4] الكتاب 155/2و156. والبيضاوي 136/2.

الرفع بالابتداء. وقيل الصَّابِئُونَ منصوب بالفتحة وذلك كما جوز بالياء جوز بالواو[1]. ونقل البيضاوي عن ابن جني بعض وجوه القراءات مثل تقديره في قوله: (فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْناها بِإِسْحاقَ وَمِنْ وَراءِ إِسْحاقَ يَعْقُوبَ) 71هود إذ أجاز أن تكون ضحكت بمعنى حاضت وقاس عليها بيتا شعريا يفسر ذلك المعنى الذي ذكره.

أما (فَبَشَّرْناها بِإِسْحاقَ وَمِنْ وَراءِ إِسْحاقَ يَعْقُوبَ) فقد قال : نصبه ابن عامر وحمزة وحفص بفعل يفسره ما دل عليه الكلام وتقديره: ووهبناها من وراء إسحاق يعقوب. وقيل إنه معطوف على موضع بِإِسْحاقَ أو على لفظ إِسْحاقَ، وفتحته للجر فإنه غير مصروف ورد للفصل بينه وبين ما عطف عليه بالظرف. وقرأ الباقون بالرفع على أنه مبتدأ. وخبره الظرف أي ويَعْقُوبَ مولود من بعده. وقيل الوراء ولد الولد ولعله سمي به لأنه بعد الولد وعلى هذا تكون إضافته إلى إِسْحاقَ ليس من حيث أن يعقوب عليه الصلاة والسلام وراءه، بل من حيث إنه وراء إبراهيم من جهته وفيه نظر[2].

وفى قوله: (قُلْ لِعِبادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُنْفِقُوا) 31إبراهيم أجاز البيضاوي في الجواب وجهين: أجاز أن يقدرا بلام الأمر ليصح تعلق القول بهما وإنما حسن ذلك ها هنا ولم يحسن في قوله:

مُحَمَّدٌ تفد نَفْسَكَ كُلُّ نَفْس ... إِذَا مَا خفت مِنْ أَمْرٍ تَبَالاَ

لدلالة قل عليه. ونقل وجها آخر يقول: هما جواباً أقيموا وأنفقوا مقامين مقامهما. ثم قال: وهو ضعيف لأنه لا بد من مخالفة ما بين الشرط وجوابه ولأن أمر المواجهة لا يجاب بلفظ الغيبة إذا كان الفاعل واحداً[3]. وأقول: لا يقال: هو ضعيف وإنما يقال: هو غريب وغير مفهوم. ومن المسائل التي جمعت بين الوجه الضعيف والأقوى فى قوله: (إِنْ هذانِ لَساحِرانِ) 63 طه قال البيضاوي: هذانِ اسم إن على لغة بلحرث بن كعب فإنهم جعلوا الألف للتثنية وأعربوا المثنى تقديراً. وقيل اسمها ضمير الشأن المحذوف وهذانِ لَساحِرانِ خبرها. وقيل إِنْ بمعنى نعم وما بعدها مبتدأ وخبر وفيهما إن اللام لا تدخل خبر المبتدأ. وقيل أصله إنه هذان لهما ساحران فحذف الضمير وفيه أن المؤكد باللام لا يليق به الحذف، وقرأ أبو عمرو «أن

[1] البيضاوي 138/2.

[2] البيضاوي 141/3.

[3] البيضاوي 199/3.

هذين» وهو ظاهر، وابن كثير وحفص إِنْ هذانِ على أنها هي المخففة واللام هي الفارقة أو النافية واللام بمعنى إلا[1]. وعندي أنها كلها وجوه عقلية محتملة جائزة.

ومثله قوله: (اكْتُتِبَها)5 الفرقان وهى قراءة طلحة بن مُصرف بضم الألف والتاء الأولى وكسر الثانية نقل البيضاوي نص الزمخشري وعدَّل فيه بقوله: كتبها لنفسه أو استكتبها، وقرئ على البناء للمفعول لأنه أمي وأصله: اكتتبها كاتب له، فحذف اللام وأفضى الفعل إلى الضمير فصار اكتتبها إياه كاتب ثم حذف الفاعل وبني الفعل للضمير فاستتر فيه[2]. وقد عارض أبو حيان تخريج الزمخشري لقراءة طلحة بحجة أنها لا تتفق ومذهب البصريين[3] وعلل ذلك فى موضعه وفاته أنها قراءة شاذة تختلف عن القراءة المطردة فى الأثر الدلالي وفى الحكم النحوي.

[1] البيضاوي 31/4.

[2] البيضاوي 118/4.

[3] البحر المحيط 442/6.

المبحث الرَّابع: فَلْسَفَةُ التَّجويز وَتقليْب الوجوه:

لاشك أن هذا المبحث منهج وفن وفلسفة تعلو غيره، لأنها لا تقيد عمل العقل فى التعامل مع القضايا، بل تبيح له الإعمال والتفكير فى خلق المعاني والمهارة فى استحداث الجديد وتبيح له أن يحكم عليها بالاستحسان والاستقباح، عندئذ تتعدد الآراء والأوجه فى المسألة الواحدة بخلاف القواعد الأخرى التى لا تقضى إلاّ وجهًا واحدًا. وقد رأينا اختلاف الآراء فى المسألة الواحدة، وفى الموضوع الواحد, فالتركيب اللغوي واحد والرأي مختلف. هذه كينونة تلك الفلسفة وطبيعتها التي تجري علي أربعة هنا وهي الظاهر والمبهم والنكرة والجملة. **فالظاهر** مثل قوله: (رَبِّ الْعالَمِينَ) حيث جوَّز فيه أربعة أوجه[1]: أن يكون نعتا للفظ الجلالة وأن يكون منصوبا على المدح. أو على النداء. لكنه لا يستقيم مع النظم أو بالفعل الذي دلَّ عليه الحمد، كأنه قيل: أحمد ربَّ العالمين. وجوَّز فى قوله: (شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِي أُنْزِلَ) 185البقرة ستة أوجه[2]: أن يكون مبتدأ خبره ما بعده، أو أن يكون خبر مبتدأ محذوف تقديره ذلكم شهر رمضان، أو يكون بدلا من الصيام على حذف المضاف أي كتب عليكم الصيام صيام شهر رمضان. وأن يكون منصوبا على إضمار صوموا، أو على أنه مفعول، وَأَنْ تَصُومُوا وفيه ضعف، أو أن يكون بدلا من أيام معدودات. ومثل ذلك قوله: (فِيهِ آياتٌ

1 البيضاوي 28/1.

2 البيضاوي 124/1.

بَيِّناتٌ مَقامُ إِبْراهِيمَ) 97آل عمران حيث جوَّز فى مَقامُ إِبْراهِيمَ أن يكون مبتدأ محذوفا خبره أي منها مقام إبراهيم، أو أن يكون بدلا من آيات بدل البعض من الكل. أو أن يكون عطف بيان على أن المراد بالآيات أثر القدم في الصخرة الصماء وغوصها فيها إلى الكعبين[1].
وجوَّز فى قوله: (وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاةَ) 162النساء أوجها منها أن يكون قد نصب على المدح إن جعل يؤمنون الخبر لأولئك، أو أن يكون عطفا على ما أنزل إليك وعلى قراءة الرفع أن يكون عطفاً على الرَّاسِخُونَ أو على الضمير في يُؤْمِنُونَ أو على أنه مبتدأ والخبر أُولئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ[2]. وجوَّز فى الظاهر من قوله: (مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ)81 يونس وجوها منها أن يكون السِّحْرُ خبر مَا الاستفهامية المرفوعة بالابتداء أو أن يكون جئتم به خبر ما, والسِّحْرُ بدل منه, أو أن يكون السحرُ خبر مبتدأ محذوف تقديره أهو السحر، أو أن يكون مبتدأ خبره محذوف أي السحر هو. أو أن تكون ما منصوبة بفعل يفسره ما بعده وتقديره أي شيء أتيتم[3]. وفى قوله: (وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذابِ النَّارُ يُعْرَضُونَ) 45غافر أجاز البيضاوي أن تكون النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْها جملة مستأنفة أو أن تكون النَّارُ خبر محذوف ويُعْرَضُونَ استئناف للبيان، أو أن تكون بدلا ويُعْرَضُونَ حال منها، أو أن تكون حالا من الآل, أو أن تكون منصوبة على الاختصاص أو بإضمار فعل يفسره يُعْرَضُونَ مثل يصلون[4].
المبهم مثل قوله: (غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ)7 الفاتحة حيث جوَّز فيها خمسة أوجه[5]: أن تكون بدلا من الَّذِينَ على معنى أن المنعم عليهم هم الذين سلموا من الغضب والضلال. وأن تكون صفة له مبينة أو مقيدة على معنى أنهم جمعوا بين النعمة المطلقة، وهي نعمة الإيمان، وبين السلامة من الغضب والضلال. وأن تكون حالا من الضمير المجرور والعامل أنعمت. وأن تكون منصوبة بإضمار أعني. وأن تكون منصوبة على الاستثناء إن فسر النعم بما يعم القبيلين. وجوَّز في قوله: (الم ذَلِكَ الْكِتَابُ)1و2 البقرة ثلاثة أوجه من الإعراب[6]: أن يكون الم مبتدأ على أنه اسم للقرآن، وذلك خبره ... والكتاب صفة ذلك. وأن يكون ألم

1 البيضاوي 29/2.
2 البيضاوي 109/2.
3 البيضاوي 121/3.
4 البيضاوي 59/5.
5 البيضاوي 30/1.
6 البيضاوي 36/1و37.

خبر مبتدأ محذوف وذلِكَ خبراً ثانياً. أو بدلاً والْكِتابُ صفته, وأن يكون ذلك مبتدأ والْكِتابُ خبره أو صفته وما بعده خبره والجملة خبر الم. وجوَّز فى الموصول[1] من قوله: (اعْبُدُوا رَبَّكُمُ...الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِراشاً)22 البقرة أربعة أوجه: أن يكون صفة ثانية، أو منصوبا على المدح، أو مرفوعا على البدل، أو مبتدأ خبره فلا تجعلوا. وأجاز في المبهم من قوله: (وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا)3 الأنبياء وجوها منها أن يكون بدلا من واو في وَأَسَرُّوا للإيماء بأنهم ظالمون فيما أسروا به، أو أن تكون فاعلا له والواو لعلامة الجمع أو أن تكون مبتدأ والجملة المتقدمة خبره وأصله وهؤلاء أسروا النجوى فوضع الموصول موضعه تسجيلاً على فعلهم بأنه ظلم أو أن تكون منصوبة على الذم[2]. وأجاز في غير من قوله: (هَلْ مِنْ خالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ)3 فاطر أن يكون مرفوعا للحمل على محل مِنْ خالِقٍ بأنه وصف أو بدل، فإن الاستفهام بمعنى النفي، أو لأنه فاعل خالِقٍ وأن يكون مجرورا حملاً على لفظه، وأن يكون منصوبا على الاستثناء، ويَرْزُقُكُمْ صفة لخالِقٍ أو استئناف مفسر له أو كلام مبتدأ[3]. ووقف على قوله : (إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ)23 الذاريات وأجاز أن يكون على معنى مثل نطقكم، وأن يكون منصوبا على الحال من المستكن في لَحَقٌّ أو أن يكون منصوبا على الوصف لمصدر محذوف أي أنه لحق حقاً مثل نطقكم. وأجاز أن يكون مبنيا على الفتح لإضافته إلى غير متمكن وهو ما إن كانت بمعنى شيء، وإنَّ بما في حيزها إن جعلت ما زائدة ومحله الرفع على أنه صفة لَحَقٌّ، ويؤيده قراءة حمزة والكسائي وأبي بكر بالرفع[4].

النكرة مثل قوله: (كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلالاً) 168البقرة حيث جوَّز في النكرة ثلاثة أوجه: أن تكون مفعولا لكلوا، وأن تكون صفة مصدر محذوف، وأن تكون حالا مما في الأرض. ومثل قوله: (أَيَّاماً مَعْدُوداتٍ)184البقرة حيث جوَّز فيها أربعة[5] أوجه: أن تكون منصوبة بإضمار صوموا لدلالة الصيام عليه، وأن تكون منصوبة بكما كتب على الظرفية، وأن تكون منصوبة على أنها مفعول ثان لـ كُتِبَ عَلَيْكُمُ على السعة. وأن تكون منصبة علي: صومكم كصومهم في عدد الأيام. ومثل قوله: (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلهَ إِلاَّ هُوَ ... قائِماً بِالْقِسْطِ)

1 البيضاوي 55/1.
2 البيضاوي 45/4.
3 البيضاوي 254/4.
4 البيضاوي 148/5.
5 البيضاوي 124/1.

18آل عمران وذكر أن فيه عدة أوجه: أن يكون منتصبا على الحال من الله، أو أن يكون من هو والعامل فيها معنى الجملة أي تفرد قائماً، أو أحقه لأنها حال مؤكدة، أو يكون منصوبا على المدح، أو يكون منصوبا علي الصفة للمنفي وفيه ضعف للفصل وهو مندرج في المشهود به إذا جعلته صفة، أو يكون حالاً من الضمير. وقرئ «القائم بالقسط» على البدل عن هو أو الخبر لمحذوف....ورفعهما على البدل من الضمير أو الصفة لفاعل شهد[1]. وجوَّز في قوله: (وَما كانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلَّا خَطَأً)92 النساء أربعة أوجه: أن يكون منصوبا على الحال أو المفعول له أي: لا يقتله في شيء من الأحوال إلا حال الخطأ، أو لا يقتله لعلة إلا للخطأ أو على أنه صفة مصدر محذوف أي إلّا قتلاً خطأ. أو على الاستثناء المنقطع أي لكن إن قتله خطأ فجزاؤه ما يذكر[2]. وقُدر فى قوله: (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ) 117الأنعام أوجها منها أن تكون مَنْ موصولة أو موصوفة في محل النصب بفعل دل عليه أعلم لا به فإن أفعل لا ينصب الظاهر في مثل ذلك، أو استفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر «يُضِلَّ» والجملة معلق عنها الفعل المقدر. وقرئ «مَن يَضِلُّ» أي يضله الله، فتكون من منصوبة بالفعل المقدر أو مجرورة بإضافة أعلم إليه أي: أعلم المضلين من قوله تعالى: مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ أو من أضللته إذا وجدته ضالاً[3]. وقدَّر أن تكون النكرة في قوله: (وَقالُوا هذِهِ ... افْتِراءً عَلَيْهِ) 138الأنعام منصوبة على المصدر ، أو أن تكون منصوبة بمحذوف هو صفة له أو أن تكون منصوبة على الحال، أو على المفعول له[4]. وقدَّر في إِخْواناً من قوله: (وَنَزَعْنا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْواناً عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ) 47 الحجر وجوها[5] منها أن تكون حالا من الضمير في جنات، أو أن تكون فاعل ادخلوها أو أن تكون فاعل الضمير من آمنين في حال الرفع فى الوجهين أو أن تكون حالا من الضمير المضاف إليه، والعامل فيها معنى الإضافة. وأجاز أن يكون عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ صفتين لإخواناً, أو حالا من ضميره لأنه بمعنى متصافين، وأن يكون متقابلين حالاً من المستقر في على سرر. ووقف على قوله: (يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ أَمْراً مِنْ عِنْدِنا)[4] الدخان وأجاز فى أَمْراً وجوها أن يكون منصوبا بأعني وأن يكون

1 البيضاوي 9/2.
2 البيضاوي 92/2.
3 البيضاوي 173/2.
4 البيضاوي 184/2.
5 البيضاوي 212/3.

حالاً من (كُلٌّ) أو أمر، أو ضميره المستكن في حَكِيمٍ لأنه موصوف، وأن يكون المراد به مقابل النهي وقع مصدراً ليُفْرَقُ أو لفعله مضمراً من حيث أن الفرق به، أو حالاً من أحد ضميري أَنْزَلْناهُ بمعنى آمرين أو مأموراً[1]. وأجاز في النكرة من قوله: (أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ سَواءً مَحْياهُمْ وَمَماتُهُمْ) 21الجاثية أَنْ تكون بدلا من الكاف أو حال من الضمير في الكاف، أو المفعولية والكاف حال وإن كان للثاني فحال منه أو استئناف يبين المقتضى للإنكار، وإن كان لهما فبدل أو حال من الثاني، وضمير الأول أو استئناف مقرر لتساوي محيا كل صنف وممات في الهدى والضلال، وأجاز أن تكون «مَماتَهُمْ» بالنصب على أن مَحْياهُمْ وَمَماتُهُمْ ظرفان كمقدم الحاج[2]. وأما قوله: (وَأُخْرى تُحِبُّونَها نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ)13الصف فقد جوَّز[3] أن تكون أُخْرى منصوبة بإضمار يعطيكم، أو تحبون أو مبتدأ خبره: نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وهو على الأول بدل أو بيان وعلى قول النصب خبر محذوف، وقد قرئ بما عطف عليه بالنصب على البدل، أو الاختصاص أو المصدر.

والجملة مثل قوله: (مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ ما أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي) (117) حيث جوَّز فيه أوجها منها أنه عطف بيان للضمير في به، أو بدل منه وليس من شرط البدل جواز طرح المبدل منه مطلقاً ليلزم بقاء الموصول بلا راجع، أو خبر مضمر أو مفعوله مثل هو أو أعني[4].

ومثله قوله: (وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْناها) 33يس حيث أجاز فى أَحْيَيْناها أن تكون خبرا لـلْأَرْضُ، والجملة خبر آيَةٌ أو صفة لها إذ لم يرد بها معينة وهي الخبر أو المبتدأ والآية خبرها، أو استئناف لبيان كونها آيَةٌ[5]. وأما قوله: (وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ)9القلم فقد أجاز أن تكون الفاء للعطف أي ودوا التداهن وتمنوه لكنهم أخروا ادهانهم حتى تدهن، أو للسببية أي وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فهم يدهنون حينئذ، أو ودوا ادهانك فهم الآن يدهنون طمعاً فيه، وفي بعض المصاحف «فيدهنوا» على أنه جواب التمني[6].

---

1 البيضاوي 99/5.

2 البيضاوي 108/5.

3 البيضاوي 210/5.

4 البيضاوي 151/2.

5 البيضاوي 267/4.

6 البيضاوي 234/5.

خاتمة البحث:

هذا بحث أبرز بالتحليل أصالة التفكير النحوي عند البيضاوي فى تفسير القرآن الذي يعد الدليل النقلي المعتبر الذي بنيت عليه القاعدة قديما وقد جاء البحث في فصلين اختص الأول منهما بالمؤثرات في مذهب البيضاوي النحوي وقد اشتمل علي ثلاثة مباحث: الأول: بين أثر سيبويه والبصريين فيه إذ كان يرد كثيرا من الآراء إليهم وكان يتبع منهجهم ويستخدم مصطلح أصحابنا البصريين. والثاني: كان يحاكي فيه الزمخشري يحاكيه في الأسلوب والألفاظ والمصطلحات والاستشهاد والطريقة بل وفى نقل النصوص. والثالث: كان ضروريا لأنه إذا تعرض للتفسير تعرض لمسائل النحو وخلافاته فكان يشير إليها بإيجاز كقضية العامل والتأصيل وأي الموصولة. أما الفصل الثاني فاختص: بمكونات التفكير النحوي عند البيضاوي وجاء فى أربعة مباحث الأول: عرض للقراءات المطردة والشاذة وبين أثرها فى الدرس إذ

القرآن مبني عليها والنحو مكون منها ولا يجوز دراسة القرآن والنحو بدونها غير أنه ساوى بين المطرد والشاذ فى التناول ولم يهتم بتخريجها وتقديرها والوقوف على أصالتها. والثاني: عرض المناهج الأصولية كالتأويل والتضمين والتوهم والتوسع والحمل على المعنى والمحل واتصفت تلك المناهج جميعها بالنمطية والتقليدية للفكر القديم والخلو من استحداث الجديد. والثالث: الجمع بين الأقوى والأضعف وذكر فيه مادة نحوية كثيرة غير مميزة بالاستحسان أو الاستقباح أو النقد بصورة فعالة. والرابع: فلسفة التجويز وتقليب الوجوه وبين البحث أن هذا الأخير من أهمها وأدقها فى الدرس لما يعليه من عمل العقل فى التعامل مع القضايا وخلق المهارات واستحداث الجديد.

أهم المصـــادر والمراجـــع:

* الأخفش سعيد بن مسعدة: معانى القرآن, تحقيق هدى محمود قراعة, مطبعة الخانجى, الطبعة الأولى, 1990م.

*ابن الأنباري كمال الدين أبو البركات: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد, طبعة المكتبة العصرية, بيروت 1987م.

* البغدادي عبد القادر بن عمر: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب, تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون, طبعة الخانجي, القاهرة, الطبعة الأولى 1986م.

*ابن جني أبو الفتح عثمان:

- الخصائص, تحقيق محمد على النجار, طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب, الطبعة الثالثة, القاهرة 1988م.

- المحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها, تحقيق على النجدي ناصف وعبد الفتاح إسماعيل شلبي بدون.

*أبو حيان عبد الله محمد بن يوسف: البحر المحيط, الطبعة الثانية, دار الفكر 1983م.

*البيضاوي ناصر الدين أبوسعيد عبدالله: أنوار التنزيل وأسرار التأويل, تحقيق محمد المرعشلي, دار إحياء التراث العربي بيروت بدون.

*الزجاج أبو إسحاق إبراهيم بن السَّرىّ: معانى القرآن وإعرابه، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، طبعة دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى 1994م.

*الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمر:

- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل ويليه الكافي الشافي فى تخريج أحاديث الكشاف لابن حجر العسقلاني, وفى مؤخرته مشاهد الأنصاف على شواهد الكشاف بدون.
- المفصل فى علم العربية وبذيله كتاب المفضل فى شرح أبيات المفصل لأبى فراس النعساني الحلبى, الطبعة الثانية, دار الجيل, بيروت, لبنان بدون.

*سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان: الكتاب, تحقيق عبد السلام محمد هارون, بيروت, الطبعة الأولى بدون.

*ابن عطية الغرناطي عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن: المحرر الوجيز فى تفسير القرآن العزيز, دار الكتب العلمية, الطبعة الأولى لبنان 1993م.

*ابن عقيل المصري بهاء الدين عبد الله بن عقيل: شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك, تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد, دار التراث, القاهرة, الطبعة العشرون 1980م.

*العكبري أبو البقاء عبد الله بن الحسين: التبيان فى إعراب القرآن , تحقيق على محمد البجاوي, بيروت, الطبعة الثانية 1987م.

*الفراء أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله: معانى الفراء, تحقيق محمد على النجار وأحمد يوسف نجاتي الجزء الأول. ومحمد على النجار الجزء الثاني وعبد الفتاح شلبي, وعلى النجدي ناصف الجزء الثالث, طبع دار السرور, لبنان بدون.

* القرطبي الأنصاري أبو عبد الله محمد: الجامع لأحكام القرآن, طبعة دار الشام للتراث, لبنان بدون.

*ابن مالك جمال الدين محمد عبد الله الأندلسي: شرح التسهيل , تحقيق عبد الرحمن السيد ومحمد بدوى المختون, الطبعة الأولى, القاهرة 1990م.
*المبرِّد أبو العباس محمد بن يزيد: المقتضب, تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة, المجلس الأعلى للشئون الإسلامية, القاهرة, الطبعة الثانية 1979م.
*مجمع اللغة العربية المعجم الوسيط إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، محمد النجار، دار الدعوة القاهرة بدون.
*ابن منظور الأنصاري جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب, تحقيق عبد الله على الكبير ومحمد أحمد حسب الله , هاشم محمد الشاذلي, طبعة دار المعارف بدون.
* ابن هشام الأنصاري جمال الدين:
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك, تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد, المكتبة العصرية, لبنان بدون.
- شرح شذور الذهب فى معرفة كلام العرب, تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد بدون.
- مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب, تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد, لبنان 1987م .

* ابن يعيش موفق الدين يعيش بن على: شرح المفصل, طبعة عالم الكتب, بيروت بدون.